الجوائح والأمراض في المغرب الأقصى في ضوء كتب المناقب

دراسة للقرنين ٦-٧هـ/١٢-١٣م

د. محمد جاب الله علي

مدرس التاريخ الإسلامي - كلية الدراسات الأفريقية العليا- جامعة القاهرة

gabala_ma@cu.edu.eg

ملخص:

تمثل كتب المناقب[١] مصدرًا مهمًا لدراسة تاريخ مجتمع المغرب الأقصى، وما مر بذلك المجتمع من نوازل وتقلبات. وتأتي أهمية كتب المناقب في هذا الصدد من كونها تعكس صورة حية لمجتمع المغرب بكافة طبقاته وفئاته، ومرد ذلك أن تلك الكتب حين تناولت مناقب الأولياء والصالحين تناولت كذلك علاقتهم بالمجتمع، وتلك العلاقة بطبيعة الحال لم تكن مقصورة على طبقة أو فئة دون غيرها. ومن هذا المنطلق فإن كتب المناقب تفتح المجال واسعًا لدراسة مجتمع المغرب بكافة تفصيلاته، ومعتقداته، وأزماته، وأمراضه، كما أن أدب المناقب يسهم بقدر كبير في إلقاء الضوء على تاريخ البسطاء والمهمشين، الذين لا تتداركهم الدراسات السياسية أو تاريخ الأسرات الحاكمة. وفضلًا عن ذلك تسهم كتب المناقب في دراسة جميع جهات الدولة دون التركيز على المركز وإغفال الأطراف والمناطق النائية منها.

ولما كانت الزوايا والأربطة هي المستقر الرئيس للصالحين والأولياء، فقد قدمت للمجتمع المغربي الكثير من الخدمات؛ وعلى رأسها العلاج أو التطبيب على حد وصف الكتابات المغربية، وهذا ما تعرضه لنا كتب المناقب، ففي معرض الحديث عن مناقب وكرامات الأولياء والصالحين تعرض لنا صورة حية عن مجتمع المغرب الأقصى في القرنين ٦-٧هـ/١٢-١٣م؛ إذ تُبرز تلك المصادر دور الصالحين والأولياء في الاهتمام بقضايا وهموم المجتمع الذي يعيشون فيه.

ونحاول من خلال هذه الورقة رصد التراث المناقبي بالمغرب الأقصى في فترة البحث، واستقراء أهم الأمراض والأوبئة التي انتشرت في المجتمع المغربي من خلال ذلك التراث، وسبل علاجها، وإسهام المتصوفة في مقاومتها.

كلمات مفتاحية :

الجوائح والأمراض، المغرب الأقصى، كتب المناقب.

مقدمة :

يأتي الدور الاجتماعي للمتصوفة والأولياء في طليعة الأدوار المنوطة بتلك الشريحة، لأنه يعكس مدى اهتمام أبنائها بتوجهات المجتمع ومشاركتهم لآلامه وهمومه، فالولي والصوفي اكتسب مكانته من زهده وورعه وتعاليم الدين التي تلزمه بمد يد العون لذوي الحاجة من المعوزين والمساكين والفقراء والمرضى، والمنكوبين، وغيرهم. وفي المقابل فإن الإنسان يتعاقب عليه حالات يشعر فيها بالخوف من المشاكل والمحن التي يتعرض لها، سواء كانت بشرية، مثل خوفه من ذوي السلطة أو المتعدين على حقوق الناس من اللصوص والمجرمين، أم طبيعية؛ مثل الأمراض والأوبئة، والكوارث، والمجاعات، والقحط والجفاف، وما ينتج عن ذلك كله من مشاكل تتعلق بفقر الكثيرين من أبناء المجتمع وتدني مستواهم المعيشي. وفضلاً عن ذلك يكتسي دور الولي أهمية أخرى إذ يُعد ملجأ –ربما يكون وحيدًا أحيانًا– في نظر البعض لتحقيق رغباته وتطلعاته، وذلك نتيجة طبيعية للاعتقاد الراسخ في كرامات المتصوفة والزهاد، ومقدرتها على تجاوز المحن أو تحقيق الآمال.

والبحث ليس بصدد الحكم على الكرامة أو المنقبة بالمصداقية أو الخرافة؛ فتلك قضية أخرى، وإنما يروم البحث إلى تقصي طبيعة الأمراض والأوبئة التي عصفت بمجتمع المغرب الأقصى خلال الفترة المقصودة بالبحث وسبل مواجهة تلك الأمراض من خلال ما ورد في كتب المناقب.

وإذا كانت حاجة الناس إلى حل مشاكلهم قد ألجأتهم إلى المتصوفة؛ فإن الأخيرين وجدوا في استخدام "كراماتهم" لحل تلك المشكلات والنوازل سبيلاً لكسب الكثيرين من الأتباع؛ فضلاً عن إثبات ذواتهم في خضم التنافس مع ذوي السلطة والفقهاء الذين سعوا إلى إثبات زيف ادعاءات المتصوفة، وأنها مجرد بدع، وبالتالي فإن نجاح الصوفي في نظر المريدين في حل المشكلات يمنحه استمرارية ومصداقية. وفي هذا الإطار يبرز على سبيل المثال، ما أشيع عن الغزواني من أنه "يطعم الطعام ويقي من الأمراض"[٢].

الدراسات السابقة:

أجريت قبل هذه الدراسة عدة دراسات سعى الباحثون من خلالها إلى رصد التراث المناقبي في بلاد المغرب، وبيان كيف أسهم كتاب المناقب في رصد الأوضاع الاجتماعية لا في بلاد المغرب الأقصى فحسب، وإنما في بلاد المغرب الإسلامي أجمع. ومنها دراسة دكتور/ الحسين بولقطيف بعنوان"جوائح وأوبئة عهد الموحدين" قدم من خلالها عرضًا لأهم الجوائح والأوبئة التي تعرض لها المغرب الأقصى في العصر الموحدي، وقد أفادت الباحث في تحديد تاريخ بعض تلك الجوائح التي لم يظهر لها تاريخ محدد في كتب المناقب، التي اكتفت بقول: "وقعت في زمن الولىّ...."، كما أفاد منه الباحث في التعرف على بعض المصادر المهمة في دراسة الجوانب الطبية في بلاد المغرب خلال فترة البحث.

ودراسة دكتور/أحمد التوفيق بعنوان "التاريخ وكتب المناقب من خلال مناقب الشيخ أبي يعزي"، وهي دراسة مهمة رصد صاحبها العلاقة بين التاريخ والمناقب، وبين من خلالها كيف يمكن لكتَّاب التاريخ والباحثين فيه الاستفادة من أدب المناقب، ولا سيما أولئك الذين يبحثون في التاريخ الاجتماعي، وتاريخ الفئات المهمشة، تلك التي كانت أكثر عرضة للأمراض، وتأثرًا بالجوائح التي ضربت البلاد خلال فترة البحث، وهم في الوقت ذاته الأكثر اتصالًا بالأولياء.

ودراسة الأستاذ/ إبراهيم مشراوي والأستاذة فطيمة مطهري بعنوان "الإسهامات الاجتماعية لرجال التصوف في العهد الزياني دراسة تاريخية أنثروبولوجية"، ورغم أن عنوانها يشير إلى أنها تختص بمنطقة جغرافية وفترة زمنية غير التي يختص بها هذا البحث، فقد أفادت الباحث في جوانب من بحثه؛ إذ أن ظاهرة التصوف وظهور الزهاد في بلاد المغرب تخضع لنفس العوامل والأسباب، كما أن التبرك بالأولياء قد تخطى الإقليم الذي عاشوا فيه، وكذلك الفترة الزمنية التي عاصروها، فالتبرك والتوسل بهم كان في حياتهم، وحتى بعد مماتهم.

وقد أسهم المصريون إسهامات فاعلة في دراسة الزُهاد والمتصوفة في الغرب الإسلامي، ومن الدراسات المهمة في هذا الصدد دراسة الدكتور/ محمد بركات البيلي، تحت عنوان "الزُهاد والمتصوفة في بلاد المغرب والأندلس حتى القرن الخامس الهجري"، وهو كتاب عظيم النفع لمن يسلك هذا الطريق من الدراسات الخاصة بالعُباد والصالحين، إذ يقدم في بداية الدراسة تعريفًا بالزهد

والتصوف، ثم يعرج على بداية انتشار التصوف في بلاد الغرب الإسلامي، والعوامل التي أسهمت في ذلك، وبعدها يتناول حياة المتصوفة في بلاد المغرب، فيذكر رحلاتهم وسياحتهم الداخلية والخارجية، ثم أدوارهم في المجتمع، ولا سيما في التصدي لظلم الحكام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واختتم الدراسة بالحديث عن مجالس المتصوفة في العلم والسماع والذكر.

ودراسة آخري للدكتور/ حسين سيد عبد الله مراد، تحت عنوان "كتب المناقب مصدرًا لدراسة الدور المجتمعي لمتصوفة المغرب الأقصى في عصر الموحدين ٥٤١-٦٨٨هـ/١١٥٦-١٢٦٩م"، والتي أفادت الباحث في التعرف على عوامل نشأة وازدهار التصوف في بلاد المغرب حتى صار للأولياء والزهاد دورًا فاعلًا وشاملًا لكافة مناحي الحياة في مجتمع المغرب في العصر الإسلامي.

وسوف يتناول هذا البحث موضوع الجوائح والأمراض في المغرب الأقصى في القرنين ٦-٧هـ/١٢-١٣م في ضوء كتب المناقب عبر النقاط التالية:

أولًا- كتب المناقب ودراسة الظواهر الاجتماعية في المغرب الأقصى في القرنين ٦-٧هـ/١٢-١٣م.

ثانيا- الجوائح والأمراض التي ظهر صداها في كتب المناقب في مجتمع المغرب الأقصى في القرنين ٦-٧هـ/١٢-١٣م.

ثالثًا- وسائل مواجهة الجوائح والأمراض في ضوء كتب المناقب.

رابعا- نماذج لدور المتصوفة في مواجهة الجوائح وعلاج الأمراض من خلال كتب المناقب.
خامسًا- رعاية المتصوفة للمرضى في ضوء كتب المناقب.

سادسًا- دور المتصوفة في مواجهة الأمراض الاجتماعية من خلال كتب المناقب.

أولًا- كتب المناقب ودراسة الظواهر الاجتماعية في المغرب الأقصى في القرنين ٦-٧هـ/١٢-١٣م.

ثمة سؤال مهم يطرح نفسه في بداية هذه الورقة، وهو لماذا الاهتمام بكتب المناقب في هذا المجال؟

وتكمن الإجابة عن هذا السؤال في أن تلك الكتب تترجم لفئة مهمة من فئات المجتمع المغربي، ألا وهي فئة الصالحين والأولياء الذين شهدت مستقراتهم إقبالًا كبيرًا من عامة الناس، ولا سيما في أوقات الملمات، هذا بغض النظر عن كون تلك الملمات سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو دينية. كما أن لجوء الناس إليهم شمل البوادي والأرياف، وكان سلاح الصالحين والأولياء في قضاء حوائج الناس هو كراماتهم التي شهد لهم بها الناس(٣). كما أن كثيرًا من الأخبار وردت في كتب المناقب دون غيرها من المصادر التاريخية، ومن ذلك الأمور الخاصة بين الصالحين والأولياء والمريدين الذين يفدون عليهم(٤).

وفضلًا عن ذلك أبرزت كتب المناقب العديد من الحوادث التي وقعت في مجتمع المغرب، والتي لم يرد ذكرها في غيرها من المصادر، ليس هذا فحسب، وإنما ضبطت أيضًا أماكن وقوعها وحوادثها وزمانها بقدر كبير من الدقة(٥). فكتب المناقب على هذا النحو تغني التاريخ العام بما ورد فيها من معلومات مفصلة حول بعض الأحداث التي شهدها المجتمع لم ترد على ذلك النحو من التفصيل في كتب الإخباريين؛ إذ نجدها مليئة بالأحداث السياسية والاقتصادية والاجتماعية(٦)، هذا فضلاً عن الأنساب، والأنثروبولوجيا، والعمران(٧). وتوصف كتب المناقب بالأدب، فيقال "أدب المناقب"، وقد ظهر هذا النوع من الأدب وفرض نفسه منذ القرون الأولى للإسلام، وذلك ليرصد أخبار وكرامات العلماء والزهاد(٨).

وإذا أردنا أن ندرك أهمية كتب المناقب في دراسة حياة المجتمعات، فلنبحث عن دوافع كتابة تلك الكتب، والتي يأتي في مقدمتها إثبات حياة الصالحين والزهاد والمتصوفة، الذين أُهملت أخبارهم في خضم الاهتمام بالجوانب السياسية والعسكرية، وكذلك أخبار الحكام ورجال السلطة(٩)، وكذلك إثبات الدور الفاعل للصلحاء في مجتمع المغرب الأقصى آنذاك. كما يؤكد رواج التراث المناقبي في بلاد المغرب على رواج فكرة التصوف والتصاقها بالمجتمع المغربي(١٠).

إن ما تقدم مرتبط بالتراث المناقبي وأهميته في دراسة المجتمع، غير أن الجانب الأهم الذي يدفع إلى الاعتماد على تلك الكتب في تقصي أخبار المهمشين والبسطاء في المجتمع هم المتصوفة

أنفسهم؛ إذ كانت أهم ميزاتهم هي اندماجهم في المجتمع، وتأثيرهم فيه، فلا تجد ميدانًا من ميادين الحياة الاجتماعية إلا وأسهم فيه المتصوفة بنصيب وافر، بل وتركوا فيه بصمات جلية للعيان(١١).

وإذا كان اهتمام كتب المناقب قد انصب على إسهام المتصوفة في مجالات الحياة المختلفة، وأن تلك الإسهامات تتوقف على مدى مهارة الصوفي في المجال الذي يسهم فيه، فإن الجانب الإنساني قد وسع الجميع، فأسهموا فيه وتحركوا وفق التزامهم بقيم التكافل والتضامن والرحمة والشفقة، ولا سيما في أوقات الشدة طبيعية كانت أو بشرية(١٢).

ومن هنا حملت كتب المناقب بين دفتيها الكثير من المعلومات حول مجتمع المغرب، وذلك باختلاف طبيعة تلك المعلومات ما بين سياسية واقتصادية واجتماعية، وكل ذلك إنما ينبع من الدور الكبير الذي اضطلع به الصالحون والأولياء على كافة الأصعدة في مجتمع المغرب في العصر الإسلامي.

وثمة سؤال آخر هو: أين مارس المتصوفة دورهم في المجتمع المغربي؟ وهل أسهم ذلك في رصد تاريخي لحياة المجتمع المغربي؟

يمكن الإجابة على هذا السؤال من خلال رصد أخبار المتصوفة وسيرهم، فمنها يتبين أن دور المتصوفة لم يقتصر على مكان محدد، وإنما مارسوا دورهم في مختلف الساحات؛ في المساجد، والرباطات، والجبال، والأرياف، والزوايا، والأسواق، وفي البوادي، والحضر، بل إن بعضهم تعدى دوره المنطقة التي يقطنها حتي صار ظاهرة إقليمية يقصده الناس من أقطار بعيدة. أما الشق الثاني من السؤال، فقد أسهم ذلك بكل تأكيد في رصد تاريخ مجتمع المغرب، ولا سيما الفئات البسيطة والمهمشة في ذلك المجتمع(١٣).

ولكن قبل البحث في كتب المناقب ومعالجتها لموضوع الجوائح والأوبئة ثمة حقيقة مرتبطة بهذا النوع من الكتب يجب إثباتها. ترتبط هذه الحقيقة بنوعية المعلومات الواردة بها، والتي على أساسها صنف الباحثون تلك الكتب إلي ثلاثة أنماط على النحو التالي:-

أولها: كتب المناقب التي لا يلاحظ فيها القارىء العادي مجافاة للواقع، وثانيها: المؤلفات المناقبية التي يختلط فيها الواقع الذي يمكن إثباته بالقليل مما لا يتفق مع ذلك الواقع، وأما ثالثتها:

فتلك المؤلفات التي يوجد فيها كثير من الخرق لقوانين الطبيعة المتعارف عليها، ومنها الحالة التي نحن بصددها والمتعلقة بشفاء المرضى وحصول البركة[١٤]، ومن هذا المنطلق تُثبت الكرامات للصلحاء والأولياء، فخرق العادة مرتبط دائما بالكرامة[١٥].

ولكنّ البعض يعد تلك الكرامات مجرد قصص أسطورية يجب الاستغناء عنها[١٦]، ولعل هذا ما أدي لإهمال كتب المناقب كمصادر لدراسة المجتمعات لفترات طويلة. غير أنه يمكن القول أن تلك المناقب التي تكثر فيها الخوارق للطبيعة تعلوا فيها الجوانب الرمزية لتحقيق الموعظة والعبرة من القصة[١٧]. وعلى هذا النحو تعددت كتب المناقب وكرمات الأولياء والصوفية في المغرب الأقصى خلال القرنين السادس والسابع الهجريين/الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين، وقد أفادت تلك الكتب الباحثين في مضمار التاريخ، لا سيما الباحثين في الحقل الاجتماعي منه.

ولعل من أهم تلك المؤلفات كتاب دعامة اليقين في زعامة المتقين، وأنس الفقير وعز الحقير، والتشوف إلى رجال التصوف، والمَعزى في مناقب الشيخ أبي يعزي، وغيرها الكثير[١٨] . وكان لتلك الكتب أهمية كبيرة في دراسة المجتمع من كافة جوانبه، فبقدر قيمة تلك الكتب لدي عامة الناس ولا سيما المتصوفة والمريدين، بقدر قيمتها لنا كباحثين في التاريخ بمختلف مجالاته، فهي بمثابة سجلٍ مفتوحٍ لدراسة المجتمع من مختلف زواياه.

ولما كان اهتمام هذه الورقة منصبًا علي دراسة الأمراض والأوبئة التي تعرض لها مجتمع المغرب، وصدي ذلك في كتب المناقب تكفي هنا الإشارة إلى حياة الأولياء والصالحين في مجتمع المغرب؛ إذ كانت حياتهم عبارة عن سياحة وترحال وتنقل من مكان لآخر، فرصد مؤلفوا المناقب ما تعرض له المجتمع من أمراض وجوائج، كما رصدت تلك الكتب كيف أسهم الأولياء في علاج بعض الأمراض.

ويعرض لنا ابن القاضي المتوفى سنة(١٠٢٥هـ/١٦١٦م) صورة من تلك الصور عندما تناول سيرة يعلي أبو جبل المتوفي سنة(٥٠٣هـ/١١٠٩م)[١٩]، فبين كيف كان قبره مزارًا تؤمه أعدادٌ غفيرةٌ من الناس، ويؤكد على استمرار تلك الظاهرة بل وتزايدها التادلى المتوفى عام(١٠١٣هـ/١٦٠٤م) في عرضه لسيرة أبي يعزي المتوفى سنة(٥٧٢هـ/١١٧٦م)[٢٠] المتصوف المعمر، فذكر أنه قضى

نحو خمسين سنة من حياته في السياحة والتنقل بين الجبال والسهول، فمن دمنات[٢١] في جبال الأطلس الكبير إلى دَكّالة[٢٢] في السهول ثم ختم حياته في تاغية[٢٣] الجبلية، وكيف كانت داره ملجأ القفراء والزوار يلقون فيها كريم الضيافة[٢٤]. ورغم بساطة مدينة تَاغْيَة وشدة بردها وقلة زرعها أصبحت مقصدًا لجموع غفيرة من سكان بلاد المغرب، ولا سيما فاس، يخرجون في رحلة طويلة تستغرق نحو خمسة عشر يومًا ذهابًا وإيابًا لزيارة قبر أبي يعزي والتبرك به[٢٥]. وهذا يعني أن أهل المغرب كانوا يعتقدون في كرامات أولئك الصالحين أحياءً كانوا أو أمواتًا؛ فالبعض يعتقدون أن العلاقة بين الأولياء ومحبيهم وأتباعهم تزداد قوة بعد وفاتهم، وأنهم يتدخلون بالخير في شئون حياة أولئك الأتباع والمريدين[٢٦].

ورغم ذلك يظل السؤال عن ماهية السبب في انتشار وشيوع التداوي لدي الأولياء والزهاد في بلاد المغرب؟

إن شيوع التداوي لدي الصالحين والزهاد في بلاد المغرب له عدة أسباب، لعل **أولها** هو قلة الأطباء، ولا سيما في الأرياف والمناطق المعزولة كالجبال والصحاري[٢٧]، فحل المتصوفة والزهاد محل الأطباء، ومارسوا دورهم في علاج المرضى[٢٨].

وثانيها أن هناك أمراضًا استعصى علاجها على أيدي الأطباء، كالحسد، والمس، والصرع، والبرص، فكان أصحابها يلجأون إلى الصالحين والزهاد يلتمسون عندهم العلاج، فاشتهر عن ميمون الصحراوي أنه من أهل الصلاح والطب الروحاني[٢٩]. أضف إلى ذلك أن كثيرًا من الأمراض، ولا سيما في حالات الوباء عجز الأطباء عن معرفة مسببتها، فأرجعوها إلى أسباب غيبية، ومن ثَمَّ أيقن الناس أن العلاج الأمثل لتلك الأمراض في التوجه إلى الله والدعاء، وهنا برزت صورة الوليّ كوسيلة للعلاج[٣٠].

وأما **ثالثها** أن الأطباء كانوا يتقاضون أجورًا نظير علاج المرضى، وهذا لا يتأتى لكثير من المرضى، بخاصة أولئك الفقراء والمحتاجين، في حين أن الصالحين والزهاد كانوا يعالجون المرضى دون أجر، بل إن بعضهم كان يعالج الأغنياء ليعود بما تقاضاه على الفقراء والمساكين[٣١].

ويُفهم من ذلك أن تنافسًا محمومًا وقع بين الأولياء والأطباء، الذين أنكرو على الأولياء تدخلهم في أمور الطب والعلاج وهم لا يملكون ناصيته، فتبارى الأولياء في تقديم خدماتهم للمجتمع، وأظهروا قدراتهم الفائقة في مداواة المرضى وحتى الزَمْنَى[٣٢] منهم[٣٣]. ويعكس لنا هذا الأمر منقبة للشيخ الصالح أبي تميم عبد الواحد الأسود في أواخر القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي الذي تمكن من معالجة امرأة مصابة بالبرص بعد أن أنفق أهلها أموالًا كثيرة عند الأطباء ففشلوا في علاجها[٣٤].

وفضلا عن تلك الأسباب لعبت الصورة الذهنية حول كرامات الأولياء بين طبقات المجتمع، ولا سيما الفقيرة دورًا كبيرًا في دفع الناس نحوهم يلتمسون العلاج على أيديهم عوضًا عن الأطباء[٣٥]. بل ترسخ في أذهان الناس أن هناك نوعًا من التخصص، فلكل وليّ حاجات يقضيها ومطالب يحققها لمريديه، وهي غالبًا مرتبطة بكرامات الأولياء التي عرفت عنهم واشتهروا بها، فمن الأولياء من تقصده المرأة العاقر بغرض الإنجاب، ومنهم من يُقصد للزواج، ومنهم من يقصد للاستسقاء ومنهم من يقصد لغير ذلك من الحاجات[٣٦].

وبعيدًا عن الأسباب السالفة، والمرتبط بالأولياء وقدراتهم كان الدافع السياسي حاضرًا في هذا الاتجاه، فقد مثّل رجال السلطة دافعًا قويًا لتأكيد دور الصالحين والزهاد في مجتمع المغرب في عهد دولتي المرابطين الموحدين[٣٧]، لا سيما وقد اشتهر عن بعض حكام الموحدين الأوائل الزهد والميل إلى التصوف[٣٨]، وسماحهم بتدريس كتب التصوف، واعتمادهم مذهب الأشاعرة الذي يعترف بالأولياء والصالحين ويعتد بكراماتهم، بل ويعدوها امتدادًا لمعجزات النبوة، غير أنها لا ترقي إلى حد المعجزات[٣٩].

ثانياً- الجوائح والأمراض التي ظهر صداها في كتب المناقب في مجتمع المغرب الأقصى في القرنين ٦-٧هـ/١٢-١٣م.

عصفت بالمجتمع المغربي الكثير من الكوارث الطبيعية كالجفاف والمجاعات، فالجفاف يأتي مصحوبًا بالغلاء وانعدام الأقوات، وهذا ينبئ بوقوع المجاعة[٤٠]. ومن أمثلة ذلك ما ورد في منقبة

لأبي حفص بن عمر الدغوغي المتوفي سنة (٥٤٦هـ/١١٥١م)[٤١]، والمجاعة التي ضربت مراكش سنة (٥٣٥هـ/١١٤٠م)[٤٢]، وأخرى في مليجة[٤٣] ورد ذكرها في منقبة ليحيى بن موسى المليجي[٤٤]، وثالثة أصابت منطقة داي[٤٥] من إقليم تادلا في النصف الثاني من القرن ٦هـ/١٢م زمن الوليّ أبي زكريا يحيى بن محمد الجراوي، فاستسقوا به "..فأسقاهم الله في يومهم.."[٤٦]. ومن ذلك الجفاف الذي نزل بأهل سبتة سنة (٥٩١هـ/١١٩٤م)[٤٧]، وقد تبعته مجاعة شديدة ظهر صداها في فاس في سيرة أحد زهادها[٤٨]. كما أصاب الجفاف فاس واستمر عدة أعوام كما ورد في سيرة أبي جبل يعلي[٤٩]. والأمر ذاته يحدث عندما تضرب السيول والفيضانات البلاد؛ حيث تتعرض البلاد لاضطراب شديد اقتصاديًا واجتماعيًا[٥٠].

ورغم أن ما ذكر سلفًا لا يمثل إلا جزءًا مما أصاب بلاد المغرب من الجوائح، كما أنه يتصف بالمحلية؛ إذ ظهر أثرها في بعض المدن المغربية فحسب، ولكن بعض تلك الجوائح كانت إقليمية؛ أي أنها ضربت بلاد المغرب الأقصى والمناطق المحيطة به في آن واحد[٥١]. وقد كانت تلك الجوائح مقدمات لانتشار الأمراض والأوبئة، وقد برز خلالها دور المتصوفة على أفضل ما يكون وفقا لما ورد في كتب المناقب. وفي هذا الإطار يبرز ما أشيع عن الغزواني من أنه "يطعم الطعام ويقي من الأمراض"[٥٢].

ورغم ما كان لتكرار ظاهرتي الجفاف والسيول، وما تبعهما من وقوع المجاعات والفيضانات من تأثير كبير على المجتمع المغربي في القرنين السادس والسابع الهجريين/الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين، إلا أن جوائح أخرى ضربت بلاد المغرب الأقصى، وكان لها ذات التأثير السلبي على المجتمع، مثل الطاعون والجذام. أما الأول فقد انتشر أكثر من مرة على نطاق واسع، ولم يقتصر على مدينة بعينها، فكان أبلغ أثرًا في حياة المجتمع[٥٣].

ولعل أبرز الطواعين التي ضربت المغرب الأقصى على عهد الموحدين كان في سنة(٥٧١هـ/١١٧٥م)[٥٤]، والذي كان على حد وصف ابن عذارى أشد الطواعين التي عرفتها بلاد المغرب الأقصى[٥٥]. وضربها آخر سنة (٦١٠هـ/١٢١٣م)[٥٦]، والذي وصفة ابن أبي زرع (كان حيًا سنة ٧٢٦هـ/١٣٢٥م) في عبارة مقتضبة بالوباء العظيم؛ إذ شمل المغرب والأندلس معًا[٥٧].

وأما الجذام[٥٨] فكان من الأمراض المستعصية التي برزت أخباره في كتب المناقب خاصة، وفي غيرها من الكتب التي تتعاطى مع المجتمع ككتب الطب والنوازل[٥٩].

وفضلاً عما سلف كانت الحرائق من بين الجوائح التي أضرت بالمجتمع المغربي ماديًا واجتماعيًا، وكان أشد تلك الحرائق ما وقع سنة(٦٤٦هـ/١٢٤٨م)؛ إذ أتت على العديد من أسواق فاس حتى قربت من جامع القرويين، وهنا برز دور الأولياء بحسب ابن أبي زرع، حيث أشار إلى أن الشيخ الصالح عبد الله الفشتالي[٦٠] "وقف أمام النار عند باب الجنائز بجامع القرويين ونادى أن هذا هو حدك فتوقفي، فتوقفت بقدرة الله"[٦١].

وأما الأمراض التي انتشرت في مجتمع المغرب خلال فترة البحث فقد وردت في ثنايا الحديث عن كرامات الأولياء والمتصوفة. ولكن لم يكن هدف هذه الإشارات رصد الأمراض الموجودة أو تقديم أية تفاصيل عنها، بل كان هدف مؤلفوا المناقب هو إثبات قدرة الصوفي من خلال كراماته على علاج ومداواة بعض الأمراض.

ومن خلال تلك الإشارات يمكن رصد بعض الأمراض التي عالجها المتصوفة وكانوا سببًا في الشفاء منها، مثل: الجذام[٦٢]، ووجع الرأس[٦٣]، والحُمَّى[٦٤] والتشنج والأحلام المزعجة[٦٥]، والصرع وخصوصًا صرع الجن[٦٦]، والوسواس[٦٧]، والبرص[٦٨]، والعقم[٦٩]، والاستسقاء(علة الماء)[٧٠]، والإسهال[٧١]، والحصى[٧٢]، والأمراض الجلدية[٧٣]، ومنها ظهور تقرحات في الرأس[٧٤]، وظهور مرض الأكِلَة في الوجه[٧٥]، وأمراض العيون[٧٦]، والأمراض العقلية[٧٧]. ومنها كذلك اللقوة[٧٨] والفالج[٧٩]، وقد ساعد الصالحون والأولياء في معالجتها[٨٠].

وهناك أمراض عضوية أشارت لها كتب المناقب مثل الشلل، بدليل ما ذكر عن أبي الحسن الغُزي، أنه دعا لامرأة كانت مقعدة فوقفت[٨١]. وما ذكر أيضًا عن شفاء امرأة مقعدة في فاس نتيجة زيارة الصوفي أبي الحسن بن حرزهم (المتوفى سنة ٥٥٩هـ/١١٦٣م)[٨٢] لدار زوجها فشفيت بفضل تلك الزيارة[٨٣]، ومن ذلك أيضًا شفاء طفل أبكم دعا له ابن حرزهم فتكلم في يومه[٨٤].

ورغم اختلاف الفقهاء حول اعتبار الأضرار البشرية، كأعمال السرقة، والنهب، وقطع الطريق، وجور الأمراء، والظلمة من عمالهم[٨٥]، والمفاسد والمنكرات ضمن الجوائح التي عانت منها

المجتمعات، إلا أنها كانت من الأمور التي أوجبت بل دفعت الناس دفعًا نحو الصالحين والزهاد يطلبون مساندتهم(٨٦)، فمارسوا دورهم في هذا الأمر على الوجه الأمثل(٨٧)؛ إذ وقفوا سدًا منيعًا أمام ظلم الحكام وعمالهم من جانب، ومفاسد الرعية من جانب آخر(٨٨). ومما يدفعنا لاعتبار تلك المفاسد ضمن الجوائح أنها كانت سببًا في نزول الابتلاء بأصحابها، فقد ورد في منقبة لأبي يعزي أن أحد المرضى قصده للعلاج من داء الصرع، فأخبره أن سبب ذلك هو كثرة ممارسته للزنا والفحشاء(٨٩)، كما لا يخفى أن تعاطي الخمور كانت سببًا في كثير من الأمراض(٩٠).

ويؤكد التراث المناقبي على الجانب الأخلاقي في كرامات الأولياء؛ إذ جعلوا تلك الكرامات وسيلة لمحاربة الأخلاق الفاسدة في المجتمع، وذلك فيما يعرف بالمكاشفات(٩١)، حتى أن بعض الفقهاء عاب على أبي يعزي فضحه للناس(٩٢).

ثالثاً- وسائل مواجهة الجوائح والأمراض في ضوء كتب المناقب:

أمدتنا كتب المناقب بالعديد من الوسائل التي استخدمها المتصوفة في التداوي أو وجهوا الناس لفعلها بغرض الاستشفاء، فكان من بين تلك الوسائل قيام المريض بتقديم الفُتوح للولي(٩٣). تلك الفتوح التي كانت توزع على الفقراء والمحتاجين، ويشير التادلي إلى أن كثيرًا من الفتوحات كانت ترد على أبي يعزي من إخوانه في الله(٩٤). وأما مقدار تلك الفتوح فإنها لم تكن تتعد الدرهم أو الدرهمين(٩٥).

هذا فضلاً عن قيام المرضى بتوزيع الصدقة بين يدي الولي، وتختلف الصدقة عن الفتوح في أنها لم يكن لها حدًا معينًا، وإنما كانت تتناسب والمستوى الاقتصادي والاجتماعي للمريض. وإذا كان بعض المتصوفة تلقى هذه الفتوح من المرضى في سبيل الدعاء لهم وشفاء أسقامهم، فإن كتب المناقب تشير إلى أن البعض الآخر من المتصوفة، ولا سيما الغزواني كان يداوي الناس طيلة حياته دون أجر(٩٦). وكان إطعام الطعام، من الوسائل التي عول عليها المتصوفة كثيرًا في التداوي، ووجهوا من يأتي إليهم بغرض التداوي إلى ضرورة الحرص على ذلك الأمر. ومن أمثلة ذلك أن أبا يعزي الذي أهدى لأحد مريديه شيئًا من طعامه، فأطعم المريد بعض من يشكون وجعًا وحمى فكُتب

لهم الشفاء[٩٧]، وكان هذا هو حال يوسف بن علي المتوفي سنة (٥٩٣هـ/١١٩٦م)[٩٨] فكان يطعم الناس تعبيرًا عن صبره لما ابتلاه به الله[٩٩]، وهكذا كان يفعل يسكر بن موسى الجورائي المتوفي سنة (٥٩٨هـ/١٢٠١م)[١٠٠]، بل أكد على أن رغبات الإنسان وحاجاته مرتبطة بهذا الأمر، فأثر عنه قوله: "طلبنا التوفيق زمانًا فأخطأناه، فإذا هو في إطعام الطعام"[١٠١].

وأكدت الإشارات المناقبية أيضًا أن من بين وسائل التداوي، بل وأكثرها فاعلية هي زيارة الأولياء والصالحين للمرضى، ومن ذلك شفاء امرأة مقعدة في فاس نتيجة زيارة الصوفي أبي الحسن بن حرزهم لدار زوجها[١٠٢]، وبفضل زيارة الصوفي نفسه أيضًا شفيت بنت زمنة[١٠٣].

ومن وسائل التداوي أيضًا التي اعتمدت على كرامات الأولياء كتابة الأحجبة والتمائم التي يعلقها المريض في رقبته أو يضعها على موضع الوجع من جسده[١٠٤].

وهناك بعض الإشارات تؤكد أن المتصوفة لم يعتمدوا على الكرامات فقط في علاج المرضى، بل إن بعضهم عالج باستخدام الرقية، وباستخدام الأعشاب أيضًا، من ذلك قدوم أحد المرضى الذي عانى من أكلة أصابته في وجهه إلى أبي عبد الله محمد بن حرزهم (المتوفى سنة ٥٧٢هـ/١١٧٦م)، فكان يرقيه غداة كل يوم، ويمضغ ورق الزيتون ويتفله على موضع العلة إلى أن شُفي[١٠٥].

كما كانت بعض الأطعمة التي يقدمها المتصوفة سبيلاً لعلاج بعض الأمراض، من ذلك ما روي عن الصوفي ابن حرزهم أنه كان يسكن مدينة مراكش وكان معه أقراصًا من دقيق البلوط يتقوت بها، فأخذ منه أحد مريديه قرصًا من تلك الأقراص وسافر إلى مدينة فاس، فكان هذا القرص سببًا في علاج كل من اشتكى من وجع أو حمى كما يروي الرجل، إذ كان يُأكل من هذا القرص مقدار ربع درهم فيُشفى المريض[١٠٦].

وكان التفل في الموضع المصاب من جسد المريض أحد وسائل التداوي[١٠٧]، إذ كان الناس يعتقدون في بركة ريق الأولياء[١٠٨]، كما كان التبرك بأجزاء من ملابس الأولياء والصالحين من وسائل التداوي والاستشفاء التي أوردتها الإشارات المناقبية، فيذكر يعقوب بن عبد الحق عن أبيه الذي كان من الأولياء أن ببركة سراويله يَسهل الوضع للحوامل[١٠٩]. أضف إلى ذلك الاكتحال في

حالات العمي وأمراض العيون، ويعتمد الاكتحال على حرق أجزاء من ملابس الوليّ واستخدام رمادها[١١٠]. وهنا يمكننا القول أن سذاجة بعض أبناء المجتمع وبساطة ذهنيتهم أعانت على تصديق بعض الروايات وتناقلها بين الناس حتى أضحت كأنها حقائق لا مراء فيها.

وكان من وسائل قضاء الحاجات والتداوي قراءة بعض الأوراد والأدعية الخاصة التي وصفها الأولياء لمريديهم ومن يتردد عليهم في قضاء حاجاتهم؛ لما شاع من فضل تلك الأوراد ومساعدتها في قضاء الحاجات[١١١]، فورد في سيرة أبي الفضل يوسف المعروف بالنحوي المتوفي سنة (٥١٣هـ/١١١٩م) أن أحد طلابه تعلم منه دعاءً قضى الله بفضل ذلك الدعاء ما عليه من دين[١١٢].

وثمة وسيلة أخري من وسائل التداوي وطلب الاستشفاء وثيقة الارتباط بالأولياء، وتعبر في الوقت نفسه عن سطحية تفكير الكثير من العوام، ألا وهي التبرك والتوسل بالصالحين من جانب المرضي أنفسهم، فيذكر صاحب المستفاد أن رجلاً من أهل فاس طلب من الصوفي ابن حرزهم أن يبيت عنده، فأجابه إلى طلبه، وكان في البيت امرأة مريضة مقعدة منذ سنين، ولما غادر ابن حرزهم البيت وودعه الرجل عاد فوجد المرأة واقفة على قدميها، ولما سألها عن السبب ذكرت أنها سألت الله وتوسلت بكرامة ابن حرزهم أن تُشفى فأصبحت معافاة مما كان قد ألم بها[١١٣].

ورغم ما تعرض له كتب المناقب من وسائل تداوي مرتبطة إلى حد كبير بكرامات الأولياء، فإن مؤلفيها أوردوا كذلك إشارات نادرة تتعلق بلجوء المرضى للأطباء. غير أن عرض تلك الإشارات كان في إطار المقارنة بين كرامات المتصوفة والطب، والتي غالبًا ما حسم رواة المناقب نتيجتها بانتصار الكرامة على الطب. من ذلك ما روي عن أحد المرضى الذي لم يفلح الأطباء في علاج قرحة أصابته في رأسه، ولكنه شُفي بفضل الصوفي أبي جبل يعلى[١١٤]. ومن الأمثلة البالغة في هذا الشأن ما وقع لحجاج وهو صاحب الصوفي عبد الله بن مُعَلى، فقد أصيب حجاج إصابة بالغة في عينه، ولمّا ذهب للطبيب أكد أنها تضررت بشدة ولن يُفلح معها العلاج، فعالجه ابن مُعّلى بالرقية فخف ما به من وجع وبرئت عينه تمامًا[١١٥].

ولكن بعد عرض كل تلك الوسائل التي اعتمد عليها الأولياء وقدموها كوسائل للتداوي لمريديهم، ومن يتردد عليهم طلبًا للاستشفاء يتبادر إلى الذهن سؤال مفاده ماذا كان يحدث لو لم يتحقق الشفاء للمرضى على يد الوليّ؟

إن عدم شفاء المرضى الذين التمسوا العلاج في رباطات الأولياء لم ينتقص من قيمتهم شيئًا، كما لم يوقف حركة انتشارهم في بلاد المغرب واعتماد المجتمع عليهم، بل توسع هذا الاتجاه في المغرب الأقصى على نحو لم يشهده أي مكان آخر. وأما قضية الشفاء من عدمه، فكانت محسومة، فالمريض الذي يتحقق له الشفاء بفضل الوليّ يزداد إيمانًا بكرمات الأولياء وقدراتهم غير المحدودة في هذا المجال، والآخر الذي لم يتحقق له الشفاء كانت حياة بعض الزهاد والصالحين الذين تعرضوا لأمراض وابتلاءات مثالاً يحتذى به في الصبر على المرض واحتساب الأجر عند الله. ومن أمثلة ذلك أن أحد المتصوفة لم يكن ذا شهرة واسعة يدعى محمد المراكشي، فبرغم مرضه وألمه إلا أنه كان صابرًا بل كان دائم الابتسام والضحك في وجه من يلقاه[١١٦]، ومن ذلك ما ورد في منقبة الوليّ يوسف بن عبد الله الصنهاجي الذي كان مبتلىً بالجذام، ولكنه كان راضيًا صابرًا على قضاء الله[١١٧]، وهذا آخر تصيبه الأكلة في وجهه، فما جزع، وإنما أعطى لمريديه والوافدين عليه أروع مثال في الصبر على الابتلاء محتسبًا الأجر عند الله[١١٨]. وتلك النماذج دفعت بعض المرضى للصبر طلبًا للأجر.

رابعاً- نماذج لدور المتصوفة في مواجهة الجوائح وعلاج الأمراض من خلال كتب المناقب:

لعب المتصوفة دورًا بارزًا وفقًا لكتب المناقب، في مواجهة الجوائح التي عصفت بمجتمع المغرب، وكذلك في علاج الكثير من الأمراض بل والعاهات التي ابتلي بها المجتمع المغربي[١١٩]، وأثبت كتّاب المناقب ذلك الدور من قبيل كرامات فئة الأولياء والصالحين في المجتمع المغربي، وفيما يلي نسوق بعضًا من تلك الحوادث التي برز فيها دور المتصوفة والأولياء.

كان وقوع الجفاف دائمًا ما يتبعه وقوع المجاعات والأوبئة، ولذا كان لأبي يعزي وغيره من الصالحين والأولياء وفق التراث المناقبي دور في رفع تلك الابتلاءات، فيذكر التادلي المتوفي

عام(١٠١٣هـ/١٦٠٤م) أن الناس صلوا مع أبي يعزي الجمعة فشكوا له احتباس المطر، وطلبوا منه الدعاء، فدعا لهم وظل يدعو حتى نزل المطر(١٢٠).

وفي منقبة للشيخ عبد الرحمن الهزميري أن مجاعة وقعت في أغمات سنة(٦٧٣هـ/١٢٧٤م)، فلما اشتد الحال بالناس تصدق الشيخ بما في داره من الدقيق، أعطاه لأحد تلامذته ينفقه على الفقراء والمحتاجين، فتقاطر الناس في أعداد كبيرة على بيت ذلك الرجل يأخذون الدقيق، وظل على هذا الحال إلى أن انتهت الشدة. وفي رواية لأحد تلامذته أنه منعه من الخلوة، وأعطاه أربعة عشر درهمًا، وطلب منه أن ينفقها على الفقراء(١٢١). وكما أسلفنا لا تكاد تخلوا منقبة من مناقب المتصوفة من إثر لدورهم في أوقات الجوائح التي تعرض لها المجتمع المغربي في فترة البحث؛ ومرد ذلك هو اعتقاد الناس ولا سيما العوام منهم الراسخ في قيمة التوسل بالصالحين والزهاد في وقت الجائحة.

ويظهر ذلك الاعتقاد على نحو أكبر في علاج المتصوفة للأمراض التي شاعت في فترة البحث. ومنهم يعلي أبو جبل المتوفي أوائل القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي من صلحاء فاس، وممن يقصده الناس للتداوي والعلاج، فعرض له طفل قد أصيب بقرحة في رأسه أعيت الأطباء ولم يفلح فيها علاج، فلما رأى تلك القرحة برئت وكانها لم تكن(١٢٢). ومن أمثلة ذلك أيضًا أن أبي المزاحم داود وهو من صلحاء الريف المغربي زمن الموحدين، اشتهر بكراماته وإقبال الناس عليه. وكان هو ممن لا يقبلون هدايا الحكام، فقد رفض هدية الخليفة عبد المؤمن بن علي(٥٤١-٥٥٨هـ/١١٤٦-١١٦٢م) التي أهداها له بعد أن عالج له أحد أبنائه(١٢٣).

كما ورد في سيرة الشيخ أبي يعزي أن بعضًا ممن أصيبوا بالعلل كانوا يذهبون إليه للاستشفاء. كما لم يدخر هو جهدًا في مساعدة المرضي دون أن يأتوا إليه، فيُذكر أن أبا يعزي مر بجارية وهي تصرخ وتشكوا من وجع في عينيها، فمسحهما الشيخ فبرئت في حينها، وسمع إقرارها بأن عينيها قد استراحتا من وجعهما(١٢٤).

ولما كان بعض النساء يأتين إلى أبي يعزي طلبًا للعلاج فقد أنكر عليه فقهاء فاس لمس صدور النساء والنظر إليهن(١٢٥). وما أن ورد خبر ما قاله الفقهاء إلى أبي يعزي قال: "...، أليس

يجوز عندهم أن يلمس الطبيب تلك المواضع للضرورة ، فهلا عدوني واحدًا من أطبائهم، وإنما ألمس ذوات العاهات للتداوي بذلك"[١٢٦].

وقد دارت حول هذا الأمر مناقشة بين أبي مدين شعيب المتوفي سنة(٥٩٤هـ/١١٩٧م) تلميذ أبي يعزي وجماعة من الفقهاء ينكرون على أبي يعزي ملامسته صدور النساء وبطونهن والنظر إلى تلك المواضع منهن، فقال لهم أبو مدين أن الشيخ إنما يفعل ذلك بغرض شفائهن وعافيتهن، وأمرهم بعدم الحديث في ذلك الأمر ثانية[١٢٧].

وهذا الإيمان القوي من جانب التلميذ بكرامات أستاذه لم يأت من فراغ، فقد عاين أبو مدين كرامات أبي يعزي بنفسه يوم أن قدم عليه للمرة الأولى؛ إذ وقعت له حادثة أصيب خلالها بالعمى، وما برئت عيناه إلا عندما مسحهما أبو يعزي بيده[١٢٨].

ولم تقتصر كرامات الشيخ أبي يعزي على الإنسان دون الحيوان، فيُذكر في سيرته أن أحد مريديه ذهب لزيارته على حماره، فأكل الحمار من شعير أبي يعزي حتى أشرف على الموت، ولم يبرأ الحمار إلا بعد أن قام إليه أبو يعزي وتفل في فيه، فقام وكأنه لم يصب بسوء[١٢٩]. .

ويعد أبو مدين واحدًا من أشهر الصالحين ببلاد المغرب الأقصى الذي وردت في حقه الكثير من الأخبار حول شيوخه وتلاميذه وكراماته[١٣٠]، فقد كان مقصدًا للناس بغرض الاستشفاء، حتى قصده من كانوا يعانون أمراضًا نفسية كوساوس الشيطان، وكان علاج أبي مدين في حالات من هذا النوع علاجًا روحيًا، كما كانت تمثل فرصة له أو لغيره من مشايخ الصوفية لوعظ المريدين، والمترددين عليهم وحثهم على الاجتهاد في أمر الآخرة[١٣١].

وفي هذا الصدد ينسب لأبي العباس السبتي المتوفي سنة(٦٠١هـ/١٢٠٤م) مقدرته على علاج الجذام ووجع الرأس والتشنج والأحلام المزعجة، والعقم، والأمراض الجلدية[١٣٢]. كما ينسب للغزواني، وغير واحد من الصالحين علاج أمراض العيون، والأمراض العقلية[١٣٣]. وسأل رجل عبد الرحمن الهزميري المتوفي سنة(٧٠٦هـ/١٣٠٦م) أن يدعو له بالشفاء من الحمى التى سببت له الأذى، فدعا له الشيخ، ووصاه خيرًا بأمه، فشُفي من الحمى[١٣٤].

وكان العقم من الأمراض التي ترسخ في ذهنية المجتمع أن الصالحين يستطيعون علاجها، بل ترصد لنا كتب المناقب حالات أخري لمن ينجبون يتبركون فيها بكرامات أولئك الصالحين ودعواتهم لإنجاب الأولاد الذكور[١٣٥].

وأما فيما يخص علاقة الصالحين والزهاد بذوي السلطان، فقد كانت تلك العلاقة على وجهين، الأول منهما هو بذل النصح والإرشاد[١٣٦]، وكشف الواقع الذي لا يتفق والشرع وإدانته؛ إذ حاول الأولياء وقت الأزمات نقد الواقع والدعوة لإصلاحه[١٣٧]. والثاني هو محاولة التصدي والمواجهة لجور السلاطين والأمراء وعمالهم. غير أن تلك المواجهة كانت روحية أكثر منها فعلية تعتمد على الدعاء للمظلوم والدعوة على الظالمين، ومن ذلك أن العوام اشتكوا إلى أحد المتصوفة من أحد عمال الدولة أنه أثقل كواهلهم بضرائب غير شرعية، فدعا عليه، فما هي إلا أيام يسيره وورد كتاب الأمير بعزله[١٣٨]. ولكنّ الأمر لم يقف عند هذا الحد إذ أشارت بعض الكرامات أن الأولياء كانوا يسلطون بعض القوي الخارقة (الجن) على أوائك الظالمين لنهيهم عن ظلمهم[١٣٩]. ورغم إطار المدح الذي كالته كتب المناقب لدور المتصوفة هذا، فإنه لا يعد منقبة أو كرامة أو شيئًا محمودًا على النحو الذي يسوقه كتاب المناقب، وإنما هي أمور إن صح وقوعها، تخالف صحيح الشرع الإسلامي، وتعد طرقًا غير مشروعة لمواجهة الفاسدين.

وكما ساعد الصالحون والأولياء في استشفاء الناس، ولا سيما العامة منهم، كانوا في الوقت ذاته وفقًا لما ورد في كتب المناقب سببًا في نزول المرض والبلاء بآخرين ولا سيما أهل السلطة. ومن أمثلة ذلك قصة يسكر بن موسى الجورائي الذي كتب أحد عمال الموحدين في حقه إلى الخليفة الموحدي[١٤٠] في مراكش أن يسكرًا لا يدعو للخليفة، فأمر الخليفة بمثوله بين يديه، وعقد العزم على أذيته، وكان بيد الحليفة حينها قضيبًا من حديد، فلما أضمر السوء لذلك الرجل الصالح بحسب ما ورد في منقبته ضرب نفسه بذلك القضيب فشج رأسه وظل ينزف، ولم يُفلح الأطباء في وقف نزيفه، وكان من بين الحاضرين أحد الصالحين، فأقبل على الخليفة وقال له إن كنت هممت بأمر سوء فتب منه، هنا تذكر الخليفة ما أضمره للجورائي فرجع عنه فوقف النزيف[١٤١].

وما روي كذلك في حق الشيخ إسحاق الورياغلي[١٤٢] الذي أكثر من نصيحة السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني(٦٥٨-٦٨٥هـ/١٢٥٩-١٢٨٦م). فأمر السلطان بنفيه خارج مدينة فاس، وقام صاحب الشرطة وكان يعرف بابن العطور بإخراج الشيخ من المدينة. وكان من نتيجة تلك الفعلة كما في كتب المناقب أن أصيب السلطان بوجع شديد، فأمر برد الشيخ الورياغلي، وصار يعظمه وحاول مرارًا مقابلته غير أن الورياغلي كان يأبى مقابلة السلطان، أو دخول المدينة حتى يخرج السلطان منها. أما صاحب الشرطة فكانت مصيبته أكبر؛ إذ صار يأكل من لحمه حتى مات[١٤٣].

ويشير ابن عيشون المتوفي سنة(١١٠٩هـ/١٦٩٧م) إلى خبر آخر في ذات السياق، أن رجلاً من أهل فاس جاء إلى أبي الحسن بن حرزهم يشكوا له أن أحد ذوي السلطان توعده بالشر، وأنه يخشى أذيته، فدعا عليه الفقيه أن يُشغل بنفسه عن أذية الخلق، فمكث ذلك الرجل نحو خمس وعشرين سنة لا تزول عنه نكبة حتى تحل به أخرى إلى أن توفي[١٤٤].

ويمكن أن نلمس ذلك أيضًا في جانب من جوانب قصة الفقيه ابن مرزوق والشيخ سعيد اليحياوي، وكيف أصيب الأول بالفالج عقب سجنه للثاني، فقيل له أن هذا الوجع إنما نزل به بسبب سجنه لليحياوي، فأصر على سجنه إلا أن يتوب، فذُكر ذلك للشيخ اليحياوي فقال أنه تائب إلى الله، فلما أمر ابن مرزوق بإخراجه من السجن شُفي من مرضه[١٤٥].

وبلغ من شهرة الشيخ سعيد اليحياوي أن توافد عليه الناس من كل حدب وصوب طلبًا للاستشفاء، وشهد له الناس بذلك حتى أنهم أشاروا على الفقيه ابن مرزوق عندما مرضت ابنته وعجز الأطباء في إيجاد علاج لها أن يرسلها للشيخ سعيد اليحياوي، فرفض في بداية الأمر لما بينهما من خصومة، فلما لم يفلح معها علاج أرسلها إليه فبرئت بإذن الله[١٤٦].

وتؤكد الكتب المناقبية على دور الأولياء في هذا الجانب، وتشير عبر الكثير من كرامات الأولياء إلى أن تدخلهم كان علاجًا لا مثيل له لظلم واستبداد أهل السلطة؛ فإما أن يموت الظالمون، وينتهي الظلم بموتهم[١٤٧]، وإما أن ينتهي الظالم عن ظلمه ويعود إلى طريق الحق[١٤٨].

وتؤكد الكتب المناقبية كذلك على تفوق الأولياء على أهل السلطة، فلما ضاق الأمر بالمجتمع المغربي، ولا سيما في الرمق الأخير من عصر الدولة الموحدية برز تفوق الصالحين في مقابل أهل

السلطان، وبلغ أثر الصالحين في هذا الجانب منتهاه في أوقات الأزمات؛ حيث فزع عدد من أهل السلطة إلى التأسي بالصالحين وامتثال طريق الزهد والصلاح، ووصل الأمر ببعضهم إلى ترك السلطة وأمور الدنيا معلنين توبتهم معترفين بأخطائهم ملتزمين طريق التصوف منقطعين للعبادة(١٤٩).

ويبرز هنا سؤال آخر حول دور المتصوفة في مواجهة الأمراض، وهل اقتصر هذا الدور على تقديم العلاج؟

خامساً- رعاية المتصوفة للمرضى في ضوء كتب المناقب.

كان للمتصوفة في مجتمع المغرب الأقصى وفق ما ورد في الإشارات المناقبية دور مهم تجاه المرضى، وهذا الدور لم يقف عند حد مساعدتهم –أي المرضى– في التداوي، وإنما كان لهم دور أكبر في رعاية أولئك المرضى، أو يمكن القول أن لدورهم أوجه عدة. وأهم تلك الأدوار بطبيعة الحال ما ترسخ من اعتقاد لدى المرضى في أهمية كرامة الصوفي والولي ودورها في علاج الأمراض. ومن ثمّ يأتي الدور المهم للمتصوفة تجاه المرضى في تعلق الأخيرين بهم، فإلى المتصوفة يهرع العوام لتفريج كربتهم، وهم ملجأهم الأخير لحل مشاكلهم(١٥٠)، فقد أدى عجز الإنسان أمام المرض، فضلًا عن محدودية وسائل العلاج والعناية الصحية إلى التعلق بكل ما من شأنه أن يعيد إليه صحته وعافيته حتى وإن كان مستحيلاً وخارقًا للعادة، بل إن مجرد الاعتقاد في قدرة الولي على المعالجة قد يكون كفيلاً بتخفيف المصاب(١٥١).

ويعد تقديم المساعدات المادية والعينية للمرضى أحد أبرز أدوار المتصوفة المغاربة، فلما وقعت الأوبئة بمراكش في عامي(٥٧١، ٥٧٢هـ/١١٧٥، ١١٧٦م) شاعت ظاهرة قيام المتصوفة بتقديم الطعام للمرضى(١٥٢). كما إننا نجد الأولياء يحثون العامة على الصدقة عمومًا وعلى المحتاجين والمرضى والمعوزين بشكل خاص للتخفيف من آلامهم(١٥٣).

ومن أمثلة ذلك تصدق بعض شيوخ الصوفية بأموالهم على مرضى الجذام بمراكش(١٥٤)، فأخبر الحسن بن حرزهم أخيه القاسم الذي رفض قبول تنازله له عن ميراثه من أبيه أنه سوف يتصدق به على الجذماء(١٥٥). وهذا محمد بن إبراهيم المهدوي(١٥٦) المتوفي سنة(٥٩٥هـ/١١٩٨م)

يضرب أروع الأمثلة في الإنفاق على الفقراء والمحتاجين، فقد دخل فاس ومعه أربعين ألف دينار فما زال ينفق منها على الفقراء حتى نفدت، وفي المجاعة التي ضربت فاس في عصره أخرج كل ما في بيته من القمح وباعه للفقراء والمحتاجين، ثم لم يلبث أن جمعهم وتصدق عليهم بما له عندهم من المال(١٥٧).

وعلى ذات الدرب سار الفقيه الصالح أبو الحسن على بن غالب المتوفي سنة(٥٩٠هـ/١١٩٣م) الذي أنفق نحو اثني عشر ألف دينار ورثها عن أبيه على ذوي الحاجة والفقراء، وهذا آخر كان يقرض المحتاجين، ومن كان فقيرًا منهم لا يستطيع السداد سامحه(١٥٨).

وأما أبو العباس السبتي فلم يكتف بأن يتصدق هو على الفقراء، إنما كان يتصدق ويدعو الناس إلى بذل الكثير من الصدقات التي عرفت بالفتوح(١٥٩)، مؤكدًا لكل من يأتيه في مسألة أن قضاء الحاجات مقرونًا بكثرة الصدقات(١٦٠). وهكذا غدت الصدقة أساس من أهم الأسس التي أقام عليها طريقته، وصارت كذلك من أهم التكاليف التي حث مريديه وأصحابه عليها(١٦١). وكان المرضى في مقدمة الذين اهتم بهم السبتي ووصلهم بالصدقة، وتبرز أهمية هذا الدور في ظل عدم وجود دور المؤسسات الاجتماعية التي يمكن أن تقوم بهذا العمل(١٦٢).

ولكي يضمن السبتي مسارعة الناس إلى تقديم يد العون للمرضى وغيرهم من المحتاجين كان يؤكد لهم على فضل الصدقة وجائزتها السريعة؛ فتكون استجابة دعاء المتصدق عاجلة، مثل انهمار المطر بعد فترة من الجفاف الشديد مثلاً(١٦٣). كما كان اعتذار المنكرين لكراماته مقبولاً عنده إذا ما قرنوا اعتذارهم بالتصدق على المساكين(١٦٤)، ولذا عرف في مراكش بصاحب الصدقات(١٦٥).

على هذا النحو صار الإنفاق على المرضى، وكذلك الأصحاء من الفقراء والمحتاجين أحد أهم واجبات الأوليا تجاههم؛ إذ ترد تلك الصفة ملازمة للعديد من الأولياء(١٦٦).

ولكن لما كان أكثر الأولياء ممن لا يملكون المال للإنفاق على المرضى والضعفاء، فكان بعضهم يتعهدونهم بالخدمة والسعي في قضاء حوائجهم. ومن ذلك قيام الصوفي علي بن عبد الرحمن المعروف بابن الدلال بخدمة أهل بلدته في مراكش، فكان يسعى في قضاء حوائج الضعفاء، ويسقي الماء للأرامل ويحمل لهن الخبز إلى الفرن(١٦٧). وكذلك يعلي أبو يدّو المتوفى سنة (٥٧٧هـ/١١٨١م) والذي كان دائم الشغل بحفر الآبار لسقي الناس ولا سيما في البوادي(١٦٨).

كما كان الغزواني يوجه مريديه نحو الاهتمام بالسقي والفلاحة لإطعام المساكين والمحتاجين ومساعدتهم[١٦٩]، ويضرب أبو يعزي أروع الأمثلة في هذا الباب، فيحكي عنه تلامذته في باب زكاة الحرث أنه كان يُخرج تسعة أعشار محصوله للضعفاء ويمسك لنفسه وأهل بيته العُشر، فتعجبوا أنه يفعل عكس الزكاة، فسألوه عن ذلك، فأخبرهم أنه من سوء الأدب أن يُخرج العُشر ويمسك لنفسه تسعة أعشار[١٧٠].

وكان بعضهم يهتم كثيرًا بحفر الآبار، ولاسيما في البوادي حرصًا على مصلحة الفقراء والمحتاجين[١٧١]. وكان عبد الله التاودي من أشهر صلحاء فاس توفي سنة(٥٨٠هـ/١١٨٤م) يعمل في آخر عمره معلماً للقرآن، يعلم أبناء الأغنياء ويأخذ الأجرة على ذلك فيردها على الفقراء والمحتاجين، ويغسل أثواب الضعفاء ويخيطها دون أن يأخذ أجرة لذلك[١٧٢].

وكان آخرون يتصدقون عليهم بما يوهب إليهم كما ورد في منقبة لأحد صلحاء مراكش هو أحمد بن عبد العزيز السلالجي الخراز المتوفي سنة(٦٠٠هـ/١٢٠٣م) الذي كانت توهب له أنواعًا كثيرة من الثياب، فيتصدق بها على الفقراء وذي الحاجة[١٧٣]. وفوق ذلك كان يداوم على خدمة إخوانه، فإذا ما اجتمع بهم في موضع كان على رأس خدمتهم. وقد جاء في ترجمته على لسان أحد إخوانه ما يعلل أفعاله، وهو أنه عقد العزم على ألا يحتفظ في داره بشيء من مال أو متاع يشغله عن العبادة، فكان يتصدق بكل ما يأتيه على الفقراء والمعوزين[١٧٤].

ويؤكد هذا الدور الإيجابي للأولياء ما أثبته البادِسي (كان حيًا في الربع الأول من القرن٨هـ/١٤م) من أن بيوتهم كانت ملاذًا ومقصدًا لا للعامة فحسب، بل وللخاصة في بعض الأوقات، لإشباع البطون والأرواح معًا، وبحسب الكتب المناقبية فإن تلك الجموع ما رُدت مرة خائبة، سواء في وقت حاجة أم حتى أولئك الذين ينزلون على بيوت الأولياء كضيوف أو يأتون بغرض الزيارة[١٧٥]

ويصدق في حالهم هذا وفائدتهم العظيمة للمجتمع الذي يعيشون فيه قول القائل:

قَد تَخَلّوْا عَنِ العِبادِ اجْتِهَادًا فَاحْتَوَتْهُمْ مِنَ القِفَارِ الكُهُوفُ

فَبِهِم يُدْفَعُ البَلاءُ وَيُسْقَى وَبِهِم يَنْجَلِي لعَمْري الكُسُوفُ[١٧٦]

ومن نافلة القول أن دور الأولياء تجاه المرضى، وفي مجابهة الجوائح والأمراض التي أصابت المجتمع المغربي في العصر الإسلامي لم ينته –في نظر مريديهم– بوفاتهم، بل استمر ذلك أيضًا بعد مماتهم[١٧٧]، فكثيرًا من مناقب الصالحين تشير إلى استمرار توسل الناس بهم، وعند قبورهم[١٧٨] في وقت الجوائح، ومن ذلك ما ورد في سيرة أبي جبل يعلي أن الدعاء مستجاب عند قبره[١٧٩]، وكذلك توسل أهل مدينة سبتة للاستسقاء عند قبر الوليّ عبد الله محمد بن عبيد الله الحجري[١٨٠]. ومنهم أبو محمد مع الله بن يحيى الزناتي المتوفي سنة ٥٦٣هـ/١١٤١م فكان قبره مشهورًا بنظير[١٨١] يستشفي به الناس[١٨٢].

هذا فيما يخص دور المتصوفة من الرجال فماذا عن المتصوفات ودورهن في مواجهة الجوائح وعلاج الأمراض في ضوء كتب المناقب؟

تؤكد كتب المناقب فيما يخص التوسل والتبرك بالصالحين أن هذا الأمر لم يختص به الرجال دون النساء. فقد برز في سير النساء ومناقبهن ما يشير إلى الجوائح والأمراض التي ألمت بمجتمع المغرب في العصر الإسلامي، وكيف أسهمن في مساعدة المجتمع في تجاوزها. فيذكر ابن الزيات المتوفي سنة(٦٢٧هـ/١٢٢٠م) أنه عندما دخل أغمات وريكة[١٨٣] رأى الناس يتبركون بقبر ويدعون عنده بالقرب من قبر عبد العزيز التونسي[١٨٤]. وأشار إلى أنه قبر أخت التونسي التي انقطعت للعبادة، فصارت من الزهاد، وأن أخاها كان إذا وفد عليه من يطلب الدعاء أمره أن يذهب إليها لتدعو له[١٨٥].

وهذا الأمر لم يكن عارضًا أو فرديًا في مجتمع المغرب؛ إذ تشير منقبة للزاهدة آمنة بنت ميمون الدكالي، وقيل مُنيّة المتوفاة سنة (٥٩٥هـ/١١٩٨م) أنه كان من عادات المتصوفة في المغرب الأقصى أن يجتمعوا كل عام في السابع والعشرين من رمضان في رباط شاكر[١٨٦]، وقد تحدثت إلى بعض مريديها أنه حضر أحد تلك الاجتماعات نحو ألف امرأة من الأولياء[١٨٧]. ورغم ضخامة العدد وانعدام وسيلة التأكد منه إلا أنه يؤكد على الدور البارز للمرأة في المجتمع المغربي سواء في مجال التصوف أو فيما يتعلق بمواجهة الجوائح والأمراض آنذاك.

ومنهن أيضًا فاطمة الحرة التي كان زوجها أحد الزهاد(١٨٨)، ورغم ذلك قيل في حقه أنه كان في كرامتها، فكانت تقصد للدعاء، ومثلها عزيزة السكسوية التي قصدها الكثير من الناس للإفادة من بركاتها ودعواتها(١٨٩).

ومنهن كذلك امراة صالحة تدعي أم اليمن، وهي التي ينسب إليها رباط أم اليمن. وقد شهد ذلك الرباط اجتماعات عديدة للأولياء، يجتمعون فيه على غرار ما كان يجري في رباط شاكر في ليلة النصف من شعبان، والسابع والعشرين من رمضان، وفي مناسبات أخرى، فينتفع بهم الفقراء والمحتاجون في ناحية بقوية(١٩٠)، وما جاورها(١٩١).

وقد برز دور النساء على نحو أكبر كونهن يعشن في المحيط المباشر للأولياء. فالمرأة تلعب أدوارًا عدة في هذا الصدد، فهن زوجات أو بنات أو خادمات. ولذا مثلن مصدرًا مهمًا للحديث عن نشاط الأولياء ونشرن العديد من الروايات حول كراماتهم(١٩٢).

وفي ختام هذه النقطة تجدر الإشارة إلى ما نظمه الصالحون والزهاد من أشعار، فإن كانت تلك الأشعار تعبر عن حالتهم الخاصة، وأنها في الوقت نفسه لا تقدم للمرضي وأصحاب الحاجات علاجًا ماديًا لأمراضهم وحاجاتهم، إلا أن أشعارهم في الزهد والتقشف والتوسل كانت بمثابة طوق نجاة لمن نزلت بهم الكروب على اختلافها سواء كانت أمراضًا أم جوائح طبيعية كانت أم بشرية(١٩٣). وأعتقد أن هذه النوعية من الأشعار واعتقاد المريدين فيها لا يخرج عن كونه نوعًا من التسكين لآلام النفس في أوقات الجوائح والأمراض، ولا سيما تلك التي لم يكن لها علاج.

سادساً- دور المتصوفة في مواجهة الأمراض الاجتماعية من خلال كتب المناقب.

تعالج هذه النقطة دور الأولياء الذي بينته كتب المناقب أيضًا في علاج ومكافحة الأمراض غير العضوية التي فشت في المجتمع المغربي آنذاك، كأعمال اللصوصية والعدوان والظلم وفرض الإتاوات على الضعفاء. فقد كانت من الأمور التي عانى منها المجتمع بقدر معاناته من الأمراض والأوبئة الجسدية. وبفضل المكانة الكبيرة التي تبوأها الصالحون في بلاد المغرب الأقصى لجأ إليهم الناس في أمور غير العلاج الجسدي، وانعكس صدى ذلك في كتب المناقب؛ إذ قص كتابها العديد من الروايات حول كرامات الصالحين الذين كافحوا تلك الأمراض، وحفظوا للمجتمع أمنه.

فتشير كتب المناقب إلى أحد الطغاة في مدينة فاس كان يظلم الناس ويقبض منهم الأتاوات، إذ به قد شُل نصفه الأسفل، ولما سُئل عن ذلك أخبر الناس أنه رأى الإمام إدريس[١٩٤] في المنام فوبخه على أفعاله ولطمه على وجهه لطمة شديدة فأصبح على هذا الحال[١٩٥]. ويُظهر ذلك مدى رسوخ فكرة كرامة الوليّ رغم وفاته، فهو في حالة الإمام إدريس ومدينة فاس يمثل راعي المدينة، وحامي سكانها من ظلم وبطش الحكام وعمالهم[١٩٦].

وهذه امرأة سجن القاضي ولدها فخافت أن يضرب ويتعرض للعقاب، فأتت إلى الشيخ أبي الحسن بن حرزهم تسأله أن يكلم القاضي ليفرج عن ولدها، وألا يعرضه للعقاب، فأطلق من غير عقاب، ودون أن يكلم الشيخ القاضي في ذلك؛ إذ اكتفى ابن حرزهم بالدعاء له فحسب. وجاءته أخرى تشكوا أن بيتها قد سرق، ولم يعد فيه شيئًا، وأنها لا تعرف من الذي سرقها، وقد تمكن الشيخ من معرفة السارق، بل وحمله على أن يرد إليها متاعها[١٩٧]. وتشير كتب المناقب إلى أن الأولياء في حال عدم معرفة السراق واستعادة المسروقات، فإنهم قد ألحقوا باللصوص الأذى بتسليط الأمراض والأوبئة عليهم[١٩٨].

وتشير كتب المناقب إلى أن مكافحة أمور السرقة وقطع الطريق لم تقف عند حد دعاء الصالحين، وأخذهم على أيدي الظالمين، بل وصل الأمر إلى حد التوسل بهم وببركاتهم. ومن ذلك أن رجلاً خرج لزيارة عبد الرحمن الهزميري في أغمات، فإذا بقاطع طريق يخرج عليه ويقصده بالسوء وما معه أحد ينجده من ذلك الرجل، فقال: "خاطرك معي يا سيدي أبا زيد" يقصد الهزميري، فوقف قاطع الطريق في مكانه، ونجا الرجل من بين يديه، فلما وصل إلى مقصده أخبره الشيخ أن ذلك الأسود قاطع للطريق، وأنه قد مات وأراح الله المسلمين منه[١٩٩].

وختامًا إن كان مجتمع المغرب الأقصى خلال القرنين ٦-٧ الهجريين/١٢-١٣ الميلاديين قد عانى كثيرًا من الجوائح والأمراض التي توالت عليه من آن لآخر. فإن وجود الأولياء الذين زخر بهم المغرب مثَّل حصنًا حصينًا للمجتمع المغربي عامة، وفي القلب منه المعوزين والمرضى. وعلى حد وصف ذكية زوانات(Zakia Zouanat)، فقد جلب الأولياء الطمأنينة للأرواح، والسلام للمسافرين، والعدالة للمظلومين[٢٠٠].

الخاتمة

على هذا النحو كانت الجوائح والأمراض تشكل مجالًا واسعًا لظهور دور الصالحين والزهاد في مجتمع المغرب الأقصى في القرنين السادس والسابع الهجريين/الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين، كما أسهمت كتب المناقب التي كتبت لتُسجيل أخبار وكرامات الأولياء في بيان جانب مهمل إلى حد بعيد من تاريخ المغرب الأقصى، ولا سيما التاريخ الاجتماعي منه، وتاريخ بعض الفئات المهمشة في المجتمع وهي أكثر الفئات احتكاكًا بالزهاد والصالحين. وبعد هذا العرض توصل البحث إلى عدة نتائج على النحو التالي:-

رصد البحث تعرض مجتمع المغرب الأقصى خلال الفترة المعني بها لعدد من الجوائح التي تبعها انتشار العديد من الأمراض والأوبئة، انعكس صداها في كتب المناقب التي أضحت من المصادر المهمة التي تساعد في إماطة اللثام عن جوانب أغفلت من تاريخ المغرب في خضم الاهتمام بتاريخ الأسر الحاكمة.

بين البحث أن ما تعرض له مجتمع المغرب الأقصى من جوائح لا يقتصر على الجوائح الطبيعية، وإنما شمل كذلك أعمالاً بشرية لا تقل عن كونها جوائح كأعمال اللصوصية، والنهب، والسرقة، والمفاسد، وبطش عمال السلطة؛ إذ دفع النوعان الناس دفعًا نحو الأولياء والزهاد يطلبون مساعدتهم ومساندتهم.

أكد البحث على أهمية كتب المناقب في رسم صورة أكثر وضوحًا للأحوال الصحية في مجتمع المغرب الأقصى خلال القرنين السادس والسابع الميلاديين/الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين، سواء على صعيد الأمراض التي شاع انتشارها أم على صعيد وسائل العلاج. كما أبرزت هذه الكتب ذهنية عامة مجتمع المغرب الأقصى بوجه خاص وتعلقها بكرامات الزهاد والصالحين.

أكد البحث كذلك على الدور الرائد لزهاد وصلحاء المغرب الأقصى فيما نزل بالمغرب من جوائح، وما شاع فيه من أمراض، فقد كانوا السبيل الوحيد يتوسل بهم الفقراء لقضاء حاجاتهم، وتحقيق رغباتهم في ظل غياب المؤسسات الاجتماعية الرسمية.

بَين البحث أن مجتمع المغرب اعتمد في التداوي على كل من الأطباء والأولياء، وأن تنافسًا كبيرًا وقع بين الجانبين، فالأطباء أنكروا على الأولياء الاشتغال بأمور الطب، وبذل الآخرون جهدهم لإثبات قدراتهم في هذا المجال.

أكد البحث أيضًا على أن سطحية تفكير العوام وشيوع الجهل أدى إلى تعاظم دور الأولياء في مجتمع المغرب الأقصى، ولا سيما في علاج الأمراض المستعصية التي فشل الأطباء في علاجها، وكذلك في أوقات الجوائح التي حلت بالمجتمع.

بَين البحث أن تعاظم دور الأولياء في وقت الأزمات كان عاملًا مهمًا لانتشار حركة المتصوفة أو محدوديتها في المغرب الأقصى، فتيار المتصوفة كان يتعاظم دوره مع نجاح الأولياء في تحقيق رغبات المجتمع.

أكد البحث أن السلطة السياسية بمساندتها للتيار الصوفي، والتزام بعض رجال السلطة طريق التصوف أدت دورًا مهمًا في نشاط المتصوفة، وتعاظم دورهم في مجتمع المغرب الأقصى.

أظهر البحث أن دور المتصوفة في مجتمع المغرب الأقصى لم يقتصر على الرجال دون النساء؛ إذا برز منهن صالحات كن مقصدًا لعامة المجتمع يطلبون منهن العلاج والدعاء ويتوسلون بهن في قضاء الحاجات.

أظهر البحث أيضًا تعدد وسائل التداوي التي ظهرت في مجتمع المغرب الأقصى، والتي استخدمها الأولياء، وأن بعضها اعتمد على وسائل تقليدية كاستخدام الأدوية المصنعة من الأعشاب، في حين اعتمد البعض الآخر على كرامات الأولياء.

أكد البحث على الدور المجتمعي للأولياء حين حثوا أفراد المجتمع على تقديم الفتوح والصدقات كأحد أهم وسائل التداوي التي أكد عليها الأولياء، وألتزموا بها، وحثوا كافة أفراد المجتمع على تأديتها، بخاصة في وقت الجوائح.

توصل البحث إلى أن كتب المناقب على رغم أهميتها في دراسة المجتمعات، ورصد ما يعتريها من تغيرات وتحولات، وما يصيبها من جوائح وأمراض، إلا أن كتَّابها أغفلوا في كثير من الأحيان

ضبط تواريخ الأحداث المشار إليها، وصبوا جل اهتمامهم على تأكيد كرامات الأولياء. ولكن تظل كتب المناقب واحدة من بين أهم المصادر التي تحقق للباحثين كتابة تاريخية متوازنة تشمل كل طبقات وفئات المجتمع، ولكن يؤخذ على كتَّاب المناقب أنهم أهملوا في بعض ترجماتهم للأولياء إثبات تواريخ مولدهم أو وفاتهم.

توصل البحث أيضًا إلى أن تعاظم دور الأولياء في مجتمع المغرب الأقصى، ولا سيما في وقت الجوائح والأزمات، أدى إلى أمرين، أولهما: انتشار الحركة الصوفية على نطاق واسع في بلاد المغرب الأقصى وخارجها. وثانيهما: أن أربطة المتصوفة حينما تعرض المغرب لأزمة المحتل صارت هي قلاع الجهاد الأولي ضد ذلك المحتل وأذنابه.

الهوامش والحواشي:

(١) ويقصد بها مناقب المتصوفة، ومناقب الشخص أي ما عرف به من الخصال الحميدة والأخلاق الجميلة، وهي جمع لكلمة "المَنْقَبَة": أي الفعل الكريم والمفخرة، وهي عكس المثلبة، أي العيب. انظر المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، طبعة وزارة التربية والتعليم، القاهرة، ١٩٩٤، ص٦٢٩؛ هلا أمون، معجم تقويم اللغة وتخليصها من الأخطاء الشائعة، دار القلم، سوريا، ٢٠١٦، ص٢٦٧.

(٢) ابن الزيات، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، ط٢، كلية الآداب، الرباط، ١٩٩٧، ص٢٤-٢٥؛ حسن جلاب، الحركة الصوفية بمراكش: ظاهرة سبعة رجال، ط١، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، ١٩٩٤، ص١٩٤.

(٣) حليمة فرحات وحامد التريكي، كتب المناقب كمادة تاريخية، في (التاريخ وأدب المناقب، منشورات الجمعية المغربية للبحث العلمي، الرباط، ١٩٨٩)، ص٥٤-٥٦.

(٤) حليمة فرحات وحامد التريكي، مرجع سابق، ص٥٦-٥٨.

(٥) حسين سيد عبد الله مراد، كتب المناقب مصدرًا لدراسة الدور المجتمعي لمتصوفة المغرب الأقصى في عصر الموحدين ٥٤١-٦٨٨هـ/١١٥٦-١٢٦٩م، ع٧، حولية سمنار التاريخ الإسلامي والوسيط، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، القاهرة، ٢٠١٩، ص٥٣.

(٦) ابن عيشون، الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس، تحقيق: زهراء النظام، منشورات كلية الأداب، الرباط، ١٩٩٧، ص٢٥، ٣٢.

(٧) الحلبي، الدر النفيس والنور الأنيس في مناقب الإمام إدريس بن إدريس، تحقيق: محمد بو خنيفي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٤، ص٦٢-٦٣، ٧١.

(8) Amri Nelly. L'hagiographie islamique : quelques remarques sur l'évolution de la littérature des manâqib au Maghreb oriental (Ve/XIe-XIe/XVIIe s.). In: Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, 159e année, N. 1, 2015. pp. 162-163.

(٩) حسين سيد عبدالله مراد، مرجع سابق، ص٥٤.

(١٠) ابن عيشون، مصدر سابق، ص٢٦-٢٧.

(١١) التميمي، المستفاد في مناقب العُبَّاد بمدينة فاس وما يليها من البلاد، تحقيق محمد الشريف، ط١، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تطوان، ٢٠٠٢، ج١، ص٢١٠-٢١١.

(١٢) التميمي، المصدر نفسه، ص٢١٣-٢١٤.

(١٣) المصدر نفسه، ص ٢١٨.

(١٤) للمزيد راجع: محمد مفتاح، الواقع والعالم الممكن في مناقب الصوفية، في (التاريخ وأدب المناقب، منشورات الجمعية المغربية للبحث العلمي، الرباط، ١٩٨٩)، ص٣٢-٣٤.

(١٥)عبد الفتاح كيليطو، الولي والجَمَل، في (التاريخ وأدب المناقب، منشورات الجمعية المغربية للبحث العلمي، الرباط، ١٩٨٩)، ص٤٤.

(١٦)عبد الأحد السبتي، أخبار المناقب ومناقب الأخبار، في (التاريخ وأدب المناقب، منشورات الجمعية المغربية للبحث العلمي، الرباط، ١٩٨٩)، ص٩٤.

(١٧) محمد مفتاح، مرجع سابق، ص٤١-٤٢.

(١٨) التادلي، كتاب المعزي في مناقب الشيخ أبي يعزي، حققه: على الجاوي، ط١، منشورات كلية الأداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر، أغادير، ١٩٩٦، ص٢٦ .

(١٩) جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٣م، ص٥٦٠.

(٢٠) أثبته ابن قنفذ في وفياته أنه توفي ٥٦١هـ/١١٦٥م، وذكر ما ورد في وفاته في طاعون ٥٧١هـ/١١٧٥م أو في العام الذي يليه. انظر: كتاب الوفيات، تحقيق: عادل نونهيض، ط٤، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٣، ص٢٨٤.

(٢١) دمنات مدينة كبيرة في بلاد المغرب الأقصى هي منبع وادي تنسيفت الذي يصب فيه عدد من الأودية أهمها وادي وريكة ووادي نفيس، وغيرهما. وتوصف المدينة بطيب أرضها وكثرة زرعها وبساتينها، وبين المدينة وجبل دَرَن نحو عشرين ميلًا. أنظر: مجهول، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار(وصف مكة والمدينة، ومصر، وبلاد المغرب)، تحقيق: سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، ١٩٨٥، ص٢٠٩.

(٢٢) دكالة بفتح أولها وتشديد ثانيها هي بلد بالمغرب يسكنها البربر، وضبطها الوزان بضم أولها وتشديد ثانيها، وذكر العديد من المدن في تلك المنطقة التي عرفت بدكالة. انظر: ياقوت الحموى، معجم البلدان، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠م، مج٢، ص٤٥٩؛ الوزان، وصف أفريقيا، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، ط٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٣م، ج١، ص١٥٢-١٥٤.

(٢٣) تاغية أو تاغيت ومعناها بلسان أهل المغرب الحق، وهي منطقة ضيقة بين جبلين. انظر: مجهول، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، ص١٨٥.

(٢٤) المعزي في أخبار أبي يعزي، ص٣٣-٣٤.

(٢٥) الوزان، مصدر سابق، ج١، ص٢٠٤-٢٠٥.

(٢٦) منال عبد المنعم جاد الله، التصوف في مصر والمغرب، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٩٧، ص١٥٨.

(٢٧) شرويك محمد الأمين، انتقال التصوف إلى بلاد المغرب الإسلامي، مجلة أفاق فكرية، الجزائر، العدد السادس، ٢٠١٧، ص٩٨-١٠٠.

(٢٨) حليمة فرحات وحامد التريكي، مرجع سابق، ص٥٩.

(٢٩) إبراهيم القادري بوتشيش، المغرب والأندلس في عصر المرابطين(المجتمع- الذهنيات- الأولياء)، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٣، ص١٥٩-١٦٠.

(٣٠) الحسين بو لقطيف، جوائح وأوبئة مغرب عهد الموحدين، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ٢٠٠٢، ص٣٢، ٣٥-٣٦.

(٣١) إبراهيم مشراوي وفطيمة مطهري، الإسهامات الاجتماعية لرجال التصوف في العهد الزياني: دراسة تاريخية أنثروبولوجية، مجلة أنثروبولوجية الأديان، الجزائر، ٢٠٢١، المجلد ١٧، العدد ٢، ص٣٦.

(٣٢) يقصد بالزمنى أو الزمنون أو الزمانة، مجموعة الأشخاص المصابين بعاهة أو بعدد من العاهات، أو بأمراض مزمنة، جعلتهم منبوذين في نظر البعض؛ مثل المجذمين (المصابون بالجذام)، والمصابون بالبرص وغيرهم. وفي لسان العرب: رجل زَمِن، أي مبتلى بَيِّن الزمانة، وهي العاهة، وجمعها زمنون، وزمين، وزمنى. الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، حققه أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٨٧،ج٥، ص٢١٣١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، راجعه وصححه محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧، ج٤، ص٢٤٧؛ ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ، ج١٣، ص١٩٩.

(٣٣) الحسين بو لقطيف، مرجع سابق، ص٧٥-٧٦. وقد نجح الأولياء في إثبات ذواتهم في كثير من المواقف في مواجهة الأطباء، ومن ذلك ما ورد في واقعة أحد الصالحين يدعى دوناس الخضَّار؛ إذ تعرض هذا الرجل للظلم والسجن من قِبل أحد ولاة الموحدين في مدينة سبته، فأُصيب الوالي بمرض شديد حيّر الأطباء الذي عجزوا عن علاجه، فأرسل إلى أبي يعزي يبغي العلاج، وكان الأخير على علم بما بدر منه من مظالم في حق الناس، فأرسل يخبره أنه لن يبرأ من مرضه حتى يرجع عن ظلمه، فأستجاب فبرىء مما ألم به من مرض. انظر: العزفي، دعامة اليقين في زعامة المتقين، تحقيق: أحمد التوفيق، مكتبة خدمة الكتّاب، المغرب، ١٩٨٩، ص٥٥.

(٣٤) ابن قنفذ، أنس الفقير وعز الحقير، تحقيق: محمد الفاسي وأدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، كلية الآداب، جامعة محمد الخامس، الرباط، ١٩٦٥، ص٣١.

(٣٥) إبراهيم مشراوي وفطيمة مطهري، المرجع السابق، ص٣٥-٣٦.

(٣٦) الحسين بولقطيف، مرجع سابق، ص ٣٦؛ منال عبد المنعم جاد الله، مرجع سابق، ص١٥٦.

(٣٧) فيذكر المراكشي أن على بن يوسف المرابطي(٥٠٠-٥٣٨هـ/١١٠٦-١١٤٣م) كان يؤثر أهل الفقه والدين حتى صار أقرب إلى الزهاد والصالحين منه إلى الملوك والسلاطين. انظر: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: محمد سعيد العريان ومحمد العربي العليمي، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ١٩٤٩، ص١٧١. في حين يذكر السَّملالي أن يعقوب بن يوسف المنصور الموحدي(٥٨٠-٥٩٦هـ/١١٨٤-١١٩٩م) طلب الوليّ أبا العباس السبتي طلبًا حثيثًا حتى وصل إلى مراكش، فترك الأول الملك لولده والتزم مجلس السبتي وسلم له نفسه وانزلها منزلة الخادم. انظر: الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، ط٢، المطبعة الملكية، الرباط، ١٩٩٣، ج١، ص٢٧٦-٢٧٧

(٣٨) ومن أمثلة ذلك الأمير محمد عبد الواحد الذي وصف بالصالح المتورع الزاهد، الذي بايعه أشياخ الموحدين بالخلافة في أعقاب هزيمة العقاب ٦٠٩هـ/١٢١٢م على كراهة منه. انظر: العزفي، مصدر سابق، ص.ز. غير إن هذا الدعم من جانب أهل السلطة للأولياء لم يكن فقط لأن بعضهم كان يميل إلى التصوف والزهد؛ إذ صار أساسًا لاعتماد أهل السلطة على الأولياء في تحقيق بعض الأمور السياسية والاقتصادية، ومن ذلك استشارة على بن يوسف بعض الأولياء في بناء سور مراكش، وإقرارهم بضرورة ذلك، وما تبع ذلك من فرض ضرائب على المجتمع في ظل ضعف إمكانات الدولة لإتمام بناء السور، فيظهر وكأن الأولياء وهم قريبون من عامة المجتمع الذين قد يتذمروا راضون عن تلك السياسة. انظر: إبراهيم القادري بوتشيش، دور المصادر الدفينة في كشف الجوانب الحضارية المنسية، في كتاب تاريخ الغرب الإسلامي قراءات جديدة بعض قضايا المجتمع والحضارة، دار الطليعة، بيروت، ١٩٩٤، ص١٣١.

(٣٩) شرويك محمد الأمين، مرجع سابق، ص٩٤-٩٥.

(٤٠) ابن أبي زرع، الذخيرة السنية في أخبار الدولة المرينية، ط١، نشره محمد بن أبي شنب، مطبعة جول كربونل، الجزائر، ١٣٣٩هـ/١٩٢٠م، ص٥٤.

(٤١) إبراهيم القادري بو تشيش، الإسلام السري في المغرب العربي، سينا للنشر، القاهرة، ١٩٩٥، ١٤٠.

(٤٢) إبراهيم القادري بوتشيش، المغرب والأندلس في العصر المرابطي، ص١٥٦.

(٤٣) مليجة مدينة ليست بالكبيرة؛ فذكرتها المصادر باسم القرية ونسبتها إلى شجرة كبيرة من الأشجار التي تنبت فيها وهي شجر البطم فقيل عنها قرية البطمة، وتقع فيما بين مراكش وشيشاوة، وتبعد عن مراكش نحو ٦٨ كم. انظر: ابن الزيات، مصدر سابق، ص١٢٥، هامش١٢٦.

(٤٤) وقيل الهليجي. انظر: ابن الزيات، المصدر نفسه، ص١٢٦.

(٤٥) يشير إليه البكري باسم حصن داي، ويذكر أنه يقع في وسط منطقة مليئة بالأشجار، وبه سوق كبيرة حافلة بضروب مختلفة من البضائع، وفي تلك السوق يجتمع التجار القادمون من فاس والبصرة وسجلماسة. انظر، المسالك والممالك، تحقيق: أدريان فان ليوفن وأندري فيري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٢، ج٢، ص٨٤٤.

(٤٦) ابن الزيات، مصدر سابق، ص١٣٧-١٣٨.

(٤٧) السّملالي، مصدر سابق، ج٢، ص١٩٦.

(٤٨) ورد خبرها في ترجمة أبو عبد الله محمد بن إبراهيم المهدوي المتوفي سنة(٥٩٥هـ/١١٩٨م) ولم يحدد المصدر على وجه الدقة العام الذي وقعت فيه المجاعة. انظر: الكتاني، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس عمن أقبر من العلماء والصالحين بفاس، تحقيق: محمد حمزة بن على الكتاني، د.ن، الرباط، ٢٠٠٤، ج٣، ص٤٣٢.

(٤٩) ابن الزيات، مصدر سابق، ٨٩-٩٠، ١٠٣، ١٢٤.

(٥٠) الحسين بو لقطيف، مرجع سابق، ص٦١.

(٥١) للمزيد من التفاصيل حول الجوائح التي ضربت بلاد المغرب زمن الموحدين. راجع: الحسين بو لقطيف، مرجع سابق، ص٤٤-٥٥.

(٥٢) ابن الزيات، نفس المصدر، ص٢٤-٢٥؛ حسن جلاب: الحركة الصوفية بمراكش، ص١٩٤.

(٥٣) الحسين بو لقطيف، مرجع سابق، ص١٥٢-١٥٥.

(٥٤) ولم يسلم من هذا الطاعون بيت المُلك نفسه، فمات في تلك السنة ثلاثة من أخوة الخليفة هم أبو عمران ، وأب سعيد، وأبو زكريا: انظر: مجهول، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ١٩٧٩، ص١٥٨.

(٥٥) البيان المُغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، تحقيق: بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، تونس، ٢٠١٣، ج٣، ص٢٣٧.

(٥٦) الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصرى ومحمد الناصرى، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م ج٢، ص٢٦٢.

(٥٧) الذخيرة السنية، ص٤٩؛ الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٢، ص٢٧٢.

(٥٨) وتقدم لنا كتب النوازل في هذا الأمر قدرًا من المعلومات حول الجذام والمجذومين، وذلك فيما ورد في المجذومين من أسئلة حول إخراج المجذوم الواحد من القرية التي يعيش فيها، وردت تلك النازلة إلى الفقيه عبد

الله بن أبي زيد القيرواني المتوفي سنة ٣٨٦هـ/٩٩٦م، فأفتى بعدم جواز إخراجهم، ولكنهم عليهم عدم مخالطة الناس. ونقل فتواه الونشرسي في معياره، والراجح أن هذا المرض أصاب أعدادًا ليست بالقليلة في بلاد المغرب مما دفع الفقها لاستدعاء مثل تلك النازلة في العصر الموحدي وبعده. للمزيد انظر: القيرواني، فتاوى الإمام بن أبي زيد القيرواني، تحقيق: حميد بن محمد لحمر، دار اللطائف للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٢، ج٢، ص٤١٣، الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، المغرب، ١٩٨١، ج١١، ص٣٠٢.

(٥٩) الحسين بولقطيف، مرجع سابق، ٥٦-٥٧.

(٦٠) عبد الله بن موسى بن مالك ترجم له ابن الأحمر في ترجمة حفيده الخطيب القاضي محمد بن أحمد بن عبد الملك بن شعيب بن عبد الله، فأشار إلى ورعه وزهده ومكاشفاته التي قال فيها: "ومكاشفاته وعلو منزلته أكثر من أن تحصى"، وهو من بيت صلاح وعلم. أعلام المغرب والأندلس(نثر الجمان)، تحقيق: محمد رضوان الداية، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٧، ص٣٥٨-٣٥٩.

(٦١) الذخيرة السنية، ص٧٣.

(٦٢) ابن الموقت، تعطير الأنفاس في التعريف بأبي العباس، د.ن، المغرب، ٢٠٠٣ ص٣٢.

(٦٣) ابن الزيات، مصدر سابق، ص١٨؛ ابن الموقت، نفس المصدر، ص ٥٠.

(٦٤) التميمي، مصدر سابق، ج٢، ص٣٥، ٣٦.

(٦٥)ابن الموقت، مصدر سابق، ص٥٥.

(٦٦) التميمي، المصدر السابق، ج٢، ص٣٧. يُروى أن امرأة صرعها الجن، فحضرت لابن حرزهم في المسجد، ودعا لها فشفيت. المستفاد، ج٢، ص٣٧. وهذا النوع من الصرع من الأمراض التي دفعت الناس إلى الأولياء في طلب العلاج، ونجد لهذا صدى في كتب النوازل، فقد سئل ابن لب المتوفي(٧٩٢هـ/١٣٨٩م) عن أجرة الرجل يعاجل المصروع. انظر: ابن لب، تقريب الآمال البعيدة في نوازل الأستاذ أبي سعيد، تحقيق: حسين مختار وهشام الرامي، دار الكتب العلمية، بيروت، ص٢٠٠٤، ص١٩١.

(٦٧) محمود محمود الغراب، شرح رسالة روح القدس في محاسبة النفس من كلام الشيخ الأكبر محي الدين بن العربي، ط٢، دار الإيمان، دمشق، ١٩٨٥، ص٤٩.

(٦٨) ابن الزيات، مصدر سابق. ص٢٦٩.

(٦٩) ابن الموقت، تعطير الأنفاس، ص٥١.

(٧٠) ابن عيشون، مصدر سابق، ص٢١٥.

(٧١) ابن قنفذ، أنس الفقير وعز الحقير، ص٨٨.

(٧٢) الحسين بو لقطيف، مرجع سابق، ٧٦.

(٧٣) حسن جلاب، الحركة الصوفية بمراكش، ص٢٠١.

(٧٤) التميمي، مصدر سابق، ج٢، ص١٩٠، ١٩١.

(٧٥) من ذلك قدوم رجل على ابن حرزهم وهو يعاني من أكلة في وجهه، ذهبت بأحد خديه، فذهب لابن حرزهم وشفي من مرضه، التميمي، المصدر نفسه، ج٢، ص٣٩.

(٧٦) العزفي، مصدر سابق، ص٦١.

(٧٧) ابن الموقت، السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية، ط٣، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، ٢٠١١، ج٢، ص٨٤.

(٧٨) اللقوة هو مرض يصيب وجه الإنسان يعوج منه الشدق، ابن منظور، مصدر سابق، ج١٥، ص٢٥٣.

(٧٩) الفالج هو داء يرخي بعض البدن، فيقال مثلًا: ضربه الفالج في الساقين. ابن منظور، المصدر السابق، ج٢، ص٣٤٦. وقال ابن سيده: الفَلَجُ تباعد ما بين الساقين. انظر: المخصص، دارالكتب العلمية، بيروت، د.ت، ج٢، ص٥٤.

(٨٠) التادلي، المعزي، ص١٢١.

(٨١) التميمي، مصدر سابق، ج٢، ص٩٢.

(٨٢) أبي الحسن على بن إسماعيل بن محمد بن عبد الله بن حرزهم ينتمي لأسرة عرفت بالصلاح والعلم، فكان ورعًا زاهدًا متقشفًا، سلك طريق التصوف، فأخذ الطريقة عن عمه وعدد من المشايخ في المغرب ثم رحل إلى المشرق للحج، فالتقي بشيوخ الصوفية في المشرق وأخذ عنهم، ظهرت له في بلده الكثير من الكرمات فمال الناس إليه وقصدوه في حاجاتهم. توفي سنة ٥٥٩هـ/١١٦٤م. انظر: ابن عيشون، مصدر سابق، ص٥٨، ٦٤.

(٨٣) التميمي، مصدر سابق، ج٢، ص٢٢.

(٨٤) نفس المصدر، والجزء، ص٢٠.

(٨٥) يشير ابن الطواح في ذلك إلى أن أبا مدين الغوث كان يستخدم جماعة من الجن ينزلون لخدمته ويظهرون في صورة الآدميين، فكان يسلطهم على الظلمة، ولا سيما في البوادي، ولما اشتهر عنه ذلك قصده الضعفاء لحمايتهم من جور أولئك العمال. انظر:ابن الطواح، سبك المقال لفك العقال، تحقيق: محمد مسعود جبران، جمعية الدعوة العالمية الإسلامية، ليبيا، ١٩٩٤، ص٧٤.

(٨٦) الحسين بولقطيف، مرجع سابق، ص٢٥، ٣١-٣٣.

(٨٧) ابن الزيات، مصدر سابق، ص١١١-١١٢؛ العزفي، مصدر سابق، ص٤٦، ٥٥، ٦٢. وقد أدى تشدد بعضهم في مكافحة المفاسد لتعرضهم لغضب العامة في بعض الأحيان، ورد هذا الأمر في مناقب محمد بن عربي الإشبيلي المتوفي سنة ٥٤٣هـ/١١٤٨م. انظر: ابن عيشون، مصدر سابق، ص٦١-٦٣، ٣٢٣.

(٨٨) ونظرًا للدور المهم الذي قام به المتصوفة في هذا الجانب، ولا سيما في الأسواق التي كانت تكثر فيها المفاسد، فقد تولي بعض أولئك الصالحين خطة الحسبة؛ نظرًا لكونها مرتبطة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل تشدد بعض ولاة الأمر في ذلك، فأكرهوا بعض الأولياء على النظر فيها. للمزيد راجع: خالد محمد بريك، ابن الزيات التادلي وكتابه التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي(ت٦٢٧هـ/١٢٣٠م) دراسة حضارية، بحث مقدم لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة بنها، ٢٠١٧، ص٩٠-٩١.

(٨٩) ويذكر الفقيه أبو الصبر أيوب من أصحاب أبي يعزي أن ذلك الرجل أقام مدة لا يزني فما أصابه مرض، فلما عاد لممارسة الزنا مرض مرضًا أشد من ذي قبل. انظر: العزفي، مصدر سابق، ص٤٠.

(٩٠) إبراهيم القادري بوتشيش، المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص١٦٠-١٦١.

(٩١) إبراهيم القادري بو تشيش، الإسلام السري في المغرب، ص١٤٢-١٤٣.

(٩٢) التميمي، مصدر سابق، ص٢٤، هامش ٧٨.

(٩٣) البادِسي، المقصد الشريف والمنَزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف، تحقيق: سعيد اعراب، ط٢، المطبعة الملكية، الرباط، ١٩٩٣، ص٩٧-٩٨، ١١٢، ١١٦-١١٧، ١٥٠.

(٩٤) التادلي، مصدر سابق، ص١٣٤.

(٩٥) حسن جلاب، الحركة الصوفية بمراكش، ص٢٠١.

(٩٦) حسن جلاب، نفس المرجع، ص٢٠١.

(٩٧) التميمي، مصدر سابق، ج٢، ص٣٥-٣٦.

(٩٨) أبي يعقوب يوسف بن على المبتلى كان يسكن بحارة الجذماء بالقرب من مراكش؛ إذ ابتلي بمرض الجذام، فكان صابرًا محتسبًا كثير الصدقة، ولا سيما إطعام الطعام مات بالحارة المذكورة، دفن خارج باب أغمات. للمزيد راجع: ابن الزيات، مصدر سابق، ص٢٩٨، ٣١٢، ٣٤٨.

(٩٩) حسن جلاب، الحركة الصوفية بمراكش، ص١٩٤.

(١٠٠) ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ص٥٦٢. أبي محمد يسكر بن موسى الجراوي الغفجومي، نشأ في تاجنيت من بلاد تادلا، ثم انتقل إلى فاس، وبقي بها إلى أن مات، له حواشي على المدونة. انظر: ابن قنفذ، كتاب الوفيات، ص٣٠٠.

(١٠١) ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ص٥٦٢.

(١٠٢) التميمي، مصدر سابق، ج٢، ص٢٢.

(١٠٣) التميمي، نفس المصدر، ج٢، ص٢٤.

(١٠٤) ابن عيشون، مصدر سابق، ص٣٠٢.

(١٠٥) التميمي، المصدر السابق، ج٢، ص٣٩.

(١٠٦) المستفاد، ج٢، ص٣٥، ٣٦.

(١٠٧) العزفي، مصدر سابق، ص٤٥.

(١٠٨) إبراهيم مشراوي وفطيمة مطهري، مرجع سابق، ص٣٦.

(١٠٩) عبد الأحد السبتي، أخبار المناقب ومناقب الأخبار، ص٩٩.

(١١٠) إبراهيم القادري بوتشيش، المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص١٦٠.

(١١١) حسن جلاب، مظاهر تأثير صوفية مراكش في التصوف المغربي، المطبعة الوراقة الوطنية، مراكش، ١٩٩٤، ص٩١-٩٢.

(١١٢) ابن الزيات، مصدر سابق، ص١٠٠.

(١١٣) التميمي، مصدر سابق، ج٢، ص٢٢.

(١١٤) التميمي، مصدر سابق، ج٢، ص١٩٠، ١٩١.

(١١٥) التميمي، نفس المصدر، ج٢، ص٧٤-٧٥.

(116) Kansoussi, Jaafar, "L'oiseau de lumière: Ibn Arabî et la vision du Trône divin à Marrakech." *Horizons Maghrébins-Le droit à la mémoire* 23.1 (1994), p. 45.

(١١٧) حسن جلاب، مظاهر تأثير صوفية مراكش، ص١٧٠-١٧٢.

(١١٨) هو سليمان بن يحيى وكان مشهورًا بابن ستهم، وقد مات بتلك الأكلة التي أصابت وجهه. انظر: البادِسي، مصدر سابق، ١١٨-١٢٠.

(١١٩) العزفي، مصدر سابق، ص٣٨، ٤٨، ٥٠-٥١.

(١٢٠) التميمي، مصدر سابق، ج٢، ص ٣٢-٣٣؛ التادلي، مصدر سابق، ص ١٢٨-١٣٠. انظر أيضًا: محمد القبلي، حول بعض مضمرات التشوف، في (التاريخ وأدب المناقب، منشورات الجمعية المغربية للبحث العلمي، الرباط، ١٩٨٩)، ص ٦٣.

(١٢١) ابن عيشون، مصدر سابق، ص٢١٨.

(١٢٢) التميمي، مصدر سابق، ص١٩٠-١٩١.

(١٢٣) حليمة فرحات وحامد التريكي، مرجع سابق، ص٥٥.

(١٢٤) التادلى، مصدر سابق، ١٣٥.

(١٢٥) أن إنكار الفقهاء وغيرهم لم يكن مقصورًا على ما يقوم به الفقيه من ملامسة صدور النساء والنظر إليهن فحسب، وإنما كانوا بعضهم ينكر كرامات الأولياء من الأساس. كما لم يكن ذلك الإنكار مقصورًا على أبي يعزي وحده، بل كان عامًا. وقد أثبت ذلك محمد بن صالح الماجري وقيل الماكيري المتوفي سنة(٦٣١هـ/١٢٣٣م)، والذي يعد من جماعة الصالحين في ريف المغرب، وذلك في كتابه تلقين المريدين؛ حيث تعرض هو نفسه لمثل هذا الإنكار من قبل بعض الفقهاء. ومن ذلك ما صرح به الشيخ يحيى بن الحاج الجعوني لخديمة في أمر أحد زواره أنه جاء معترضًا لا مسترشدًا. للمزيد انظر: البادِسي، مصدر سابق، ص١٠٢، ١١٨-١١٩، ١٢٥-١٢٦.

(١٢٦) ابن الزيات، مصدر سابق، ص١٢٣.

(١٢٧) العزفي، مصدر سابق، ص٣٩.

(١٢٨) ابن الزيات، مصدر سابق، ص٣٢١.

(١٢٩) التادلي، مصدر سابق، ١٢٣.

(130) Amri Nelly, Op, Cit., p. 166.

(١٣١) محي الدين بن العربي، رسالة روح القدس في مناصحة النفس، مخطوط بالمكتبة الأزهرية تحت رقم ١٥٨٧/ تصوف، ص٢٨. أ، ص٣٦. ب، ؛ محمود محمود الغراب، مرجع سابق، ص٤٩-٥٠.

(١٣٢) ابن الزيات، مصدر سابق، ص١٨، ٣٢، ٥١، ٥٥؛ ابن المؤقت، مصدر سابق، ص ٥٠.

(١٣٣) البادِسي، مصدر سابق، ص٩١؛ ابن المؤقت، السعادة الأبدية، ج٢، ص٨٤.

(١٣٤) ابن عيشون، مصدر سابق، ص٢١٥.

(١٣٥) ابن عيشون، نفس المصدر، ص٢١٢.

(١٣٦) شرويك محمد الأمين، مرجع سابق، ص٩٨.

(١٣٧) إبراهيم القادري بوتشيش، واقع الأزمة والخطاب الإصلاحي في كتب المناقب والكرامات"دراسة تطبيقية على الأزمة الموحدية أواخر القرن السادس وبداية القرن السابع"، في كتاب تاريخ الغرب الإسلامي قراءات جديدة بعض قضايا المجتمع والحضارة، دار الطليعة، بيروت، ١٩٩٤، ص١٠٦.

(١٣٨) إبراهيم القادري بوتشيش، المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص١٥٦؛ واقع الأزمة والخطاب الإصلاحي، ص١٠٩.

(١٣٩) إبراهيم القادري بوتشيش، واقع الأزمة واخطاب الإصلاحي، ص١١٥.

(١٤٠) لم تذكر كتب المناقب اسم الخليفة الموحدي المقصود، ولكن بحسب ما ورد في ترجمة الجزنائي ليسكر الجورائي فأن الخليفة هو الناصر بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن رابع خلفاء الموحدين الذي تول الحكم في الفترة من ٥٩٦-٦١٠هـ/١١٩٩-١٢١٣م، أي قبل وفاة أبا محمد يسكر الجورائي بعامين. الجزنائي، جنى زهرة الأس في بناء مدينة فاس، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، ط٢، المطبعة الملكية، الرباط، ١٩٩١، ص٧١.

(١٤١) الجزنائي، مصدر سابق، ص٥٧؛ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ص٥٧-٥٨؛ الكتاني، مصدر سابق، ج٣، ص١٥٤؛.

(١٤٢) إبراهيم بن إسحاق بن يحيى بن مطر الورياغلي المعروف بالأعرج توفي سنة المتوفي ٦٨٣هـ/١٢٨٤. انظر: ابن عيشون، المصدر نفسه، ص٢٨٩.

(١٤٣) البادِسي، مصدر سابق، ص١١١؛ عبد الأحد السبتي، مرجع سابق، ص١٠١-١٠٢.

(١٤٤) الروض العطر الأنفاس، مصدر سابق، ص٦١.

(١٤٥) التادلي، مصدر سابق، ص١٢٢.

(١٤٦) التادلي، نفس المصدر، ص١٢٢.

(١٤٧) البادِسي، مصدر سابق، ص١٤١. ظهر ذلك فيما وقع بين الشيخ عبد الرحمن الهزميري والسلطان أبو يعقوب يوسف المريني(٦٨٥-٧٠٦هـ/١٢٨٦-١٣٠٦م) عندما حاصر الأخير مدينة تلمسان سنة(٦٩٨هـ/١٢٩٨م)، فنزلت الشدة بأهل تلمسان وشاع الغلاء في المدينة وعدمت الأقوات. فخرج عبد الرحمن الهزميري قاصدًا السلطان عند أسوار تلمسان وفي نيته أن يصرف السلطان عن حصار المدينة، فلم يقبل السلطان شفاعته، فكتب الهزميري لأهل تلمسان أن هذا الأمر يقضية سعادة يقصد مملوك السلطان، وبعد أيام

من تلك الواقعة قتل أبي يعقوب سنة ٧٠٦هـ/١٣٠٦م، وفرج الله عن تلمسان. انظر: التنسي، نظم الدر والعقيان في شرف بني زيان، تحقيق: محمد أغا بوعياد، وزارة الثقافة، الجزائر، ٢٠١١، ص١٣٣-١٣٤

(١٤٨) إبراهيم القادري بوتشيش، واقع الأزمة والخطاب الإصلاحي في كتب المناقب والكرامات، ١١٥-١١٦.

(١٤٩) إبراهيم القادري بوتشيش، المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص١٦١-١٦٢، واقع الأزمة والخطاب الإصلاحي في كتب المناقب والكرامات، ص١١٢، ١١٦.

(١٥٠) التميمي، مصدر سابق، ج١، ص٢١٥.

(١٥١) حسن جلاب، مرجع سابق، ص٢٠١.

(١٥٢) الناصري، مصدر سابق، ج٢، ص١٥١؛ حسن جلاب، المرجع السابق، ص١٩٥.

(١٥٣) التميمي، مصدر سابق، ج١، ص٢١٥؛ ج٢، ص٥٧-٥٨، ٦٤-٦٥، ٨٨، ١١١، ١٢١.

(١٥٤) ابن الزيات، مصدر سابق، ص ١٧٠-١٨٧، ٢٠٠، ٢١٠، ٢٦٣.

(١٥٥) التميمي، المصدر السابق، ج٢، ص١٧. ابن عيشون، مصدر سابق، ص٥٩.

(١٥٦) ذكر صاحب رسالة القدس أنه من رجال الأشتياق -من مقامات الصوفية-، وهم خمسة أنفس، ويوصفون بأنهم رجال الصلوات الذين لا يفترون عن الصلاة ف يليل ولا في نهار. انظر: محمود محمود الغراب، مرجع سابق، ص١٢٥، هامش ٢.

(١٥٧) الكتاني، مصدر سابق، ج٣، ص٤٣٢.

(١٥٨) محمد المنوني، دفينة من كتابين في المناقب، في كتاب التاريخ وأدب المناقب، منشورات الجمعية المغربية للبحث التاريخي، الرباط، ١٩٨٨، ص١٠

(١٥٩) ابن همام، رسالة في مناقب وترجمة أبي العباس السبتي، مخطوط بجامعة الملك عبد العزيز تحت رقم ١١٩٨، ورقة ٢.

(١٦٠) للمزيد راجع: أحمد بابا التنبكتي، نيل الانبهاج بتطريز الديباج، تحقيق: عبد الحميد عبد الله الهرامة، ط٢، منشورات دار الكاتب، طرابلس، ٢٠٠٠، ص٦٩-٧٣.

(١٦١) عبد الجواد السقاط، ملامح من شعر متصوفة مراكش على عهد المرابطين والموحدين، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة القاضي عياض، المغرب، ١٩٩٣، ص٢٠٢.

(١٦٢) حسن جلاب، الحركة الصوفية بمراكش، ص١٩٦، ١٩٧.

(١٦٣) ابن الزيات، مصدر سابق، ص١٢.

(١٦٤) ابن الزيات، نفس المصدر، ص١٢، ١٣. ولأجل ذلك صارت بركته في العطاء حتى بعد وفاته، فقد تزاحم الزوار على قبره، وقدموا له الهبات والعطايا من الذهب والفضة وغيرهما، فصارت تنفق على ذي الحاجة والفقراء والمساكين. انظر: أحمد بابا التنبكتي، مصدر سابق، ص٧٥-٧٦؛ ابن همام، مصدر سابق، ورقة ١.

(165) Kansoussi, Jaafar, Op, Cit., p. 44.

(١٦٦) التميمي، مصدر سابق، ج٢، ص٢٥-٢٦، ٥٧؛ ابن الزيات، مصدر سابق، ص١٤٢، ١٤٥-١٤٦؛ العزفي، مصدر سابق، ص٤٦؛ ابن قنفذ، أنس الفقير وعز الحقير، ص٣٠،٤٥،٥٢، ١٠١؛ البادِسي، مصدر سابق، ص١٢٦؛ الجزنائي، مصدر سابق، ٥٧.

(١٦٧) ابن الزيات، مصدر سابق، ص ٣٤١؛ السملالي، مصدر سابق، ص٧٣-٧٤.

(١٦٨) ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ص٥٦٢..

(١٦٩) الفاسي، ممتع الأسماع في ذكر الجزولي والتباع وما لهما من الأتباع والإلناع، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ١٩٩٤، ص ٦٦، ٦٧، ٧٦؛ حسن جلاب، الحركة الصوفية بمراكش، ص٢٠٠.

(١٧٠) ابن القاضي، ذيل درة الحَجّال في أسماء الرجال، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، مكتبة دار التراث، القاهرة، ١٩٧١، ج٣، ص٦.

(١٧١) التميمي، مصدر سابق، ج٢، ص٤٦.

(١٧٢) ابن قنفذ، أنس الفقير وعز الحقير، ص٣٠.

(١٧٣)عبد الجواد السقاط، مرجع سابق، ص٢٠٩.

(١٧٤) ابن الزيات مصدر سابق، ص٣٧٧-٣٧٨.

(١٧٥) البادِسي، مصدر سابق، ص٦١-٦٢، ٦٨، ١١٨.

(١٧٦) التميمي، مصدر سابق، ج٢، ص٩٥، ١٤١.

(١٧٧) أختلف في هذا الأمر، فكان الإمام أبي حامد الغزالي يرى أن كل من يُنتفع به حيًا ينتفع به ميتًا، في حين أن أبا بكر بن العربي كان يرى أن الميت هو من ينتفع من الحي وليس العكس، وأنه لا يزار إلا قبر النبي محمد صلى الله عليه وسلم. كما قال أبو يعزي في حق المنكرين لكرامات الأولياء: "لو كنت قريبًا من البحر

لأريتهم المشي على الماء عيانًا" انظر: التادلي، مصدر سابق، ص٢١٨-٢١٩، ابن الزيات، مصدر سابق، ص٢١٤.

(١٧٨) ابن الزيات، مصدر سابق، ص١٢٩؛ العزفي، مصدر سابق، ص٦٤. انظر أيضًا: السَّملالي، مصدر سابق، ج١، ص٢٧٦. انظر أيضًا: Amri Nelly, Op, Cit., p.169.

(١٧٩) ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ص٥٦٠.

(١٨٠) المراكشي، مصدر سابق، ج٨، ص١٩٦. ويذكر أحمد بابا التنبكتي أن امرأة من الصالحات كانت مستحاضة لفترة، فلما سمعت بوفاته توسلت به إلى الله أن يرفع ما ألم بها، فارتفع عنها الدم. انظر: نيل الانبهاج بتطريز الديباج، مصدر سابق، ص٢١٣.

(١٨١) نظير ونضير لم تعد معروفة بهذا الاسم، ولكن الموقع موجود قرب القصبة الزيدانية بتادلا على وادي أم ربيع، وفي هذه المنطقة قتل الموحدون جماعة من أهل تادلا بلغ عدد نحو خمسمائة إنسان. انظر: البيذق، أخبار المهدي ابن تومرت وبداية دولة الموحدين، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧١، ص٧١.

(١٨٢) ابن الزيات مصدر سابق، ص١٣٢.

(١٨٣) أغمات وريكة واحدة من مدينين عرفتا بنفس الاسم أغمات، والأخري تعرف باسم أغمات إيلان. والأولى هي مستقر أمير البلاد ويقصدها التجار وينزل بها الغرباء، وهي مدينة كثيرة الخير والتجارة، ورد عند البلدانيين أنه ليس ببلاد المغرب أجمع لأصناف الخير منها. انظر: ابن حوقل، صورة الأرض، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٩٢، ص٩٠؛ البكري، مصدر سابق، ١٩٩٢، ج٢، ص٨٤٢-٨٤٥؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠، ج١، ص٢٦٦-٢٦٧.

(١٨٤) أبي محمد عبد العزيز التونسي أصله من تونس أخذ الفقه عن أبي عمران الفاسي وأبي إسحاق التونسي، برع في الفقه وقام على تدريسه في إغمات التي استقر فيها إلى أن توفي سنة ٤٨٦هـ/١٠٩٣م. انظر: ابن الزيات، مصدر سابق، ص٩٢-٩٣.

(١٨٥) ابن الزيات، نفس المصدر، ص٩٤.

(١٨٦) رباط شاكر هو أحدد أهم أربطة الصوفية في بلاد المغرب الأقصى، وينسب الرباط إلى شاكر بن يعلي بن واصل وقيل: مصلين الرجراجي، وتشير بعض الروايات إلى أنه خرج من المغرب قبل فتحه ووصل إلى القيروان، ثم دخل المغرب بصحبة عقبة بن نافع، وبعدها شيد ذلك الرباط الذي عرف باسمه وصار أحد أهم أربطة الصوفية ببلاد المغرب الأقصى. انظر: محمد سعيد الرجراجي، رباط شاكر-سيدي شيكر-والتيار الصوفي حتى القرن السادس الهجري، وليلي للطباعة والنشر، مراكش، ٢٠٢٠، ص٢٧-٢٩.

(١٨٧) ابن الزيات، مصدر سابق، ص٣١٦؛ محمد السعيد الرجراجي، راجراجة وتاريخ المغرب/ منشورات جمعية البحث والتوثيق والنشر، الرباط، ٢٠٠٤، ص١٨. ويذكر ابن قنفذ ما يؤكد على استمرار ظاهرة اجتماعات الصالحين والزهاد في مناسبات مختلفة، فقد رصد في ترجمته لبعضهم اجتماع لهم في شهر ربيع الأول من سنة ٧٦٩هـ/١٣٦٧م دون أن يحدد مكان الاجتماع. كما أشار من خلال ذلك إلى استمرار دورهم الاجتماعي، ولا سيما في مساعدة المرضى، فأكد على أن المرضى وأصحاب العلل توافدوا على اجتماع الصالحين يطلبون الشفاء. ابن قنفذ، أنس الفقير وعز الحقير، ص٧١-٧٢.

(١٨٨) كان زوجها الشيخ الصالح أبا محمد عبد الواحد الصنهاجي. انظر: ابن قنفذ، انس الفقير وعز الحقير، ص٨٦.

(١٨٩) ابن قنفذ، نفس المصدر، ص٨٧.

(١٩٠) بَقُّوَية هو اسم لقبيلة كانت تسكن إلى جوار مدينة بادِس، والنسب إليها بَقُّوَي، وقد ظهر من هذه القبيلة عدد من الصالحين، فإليها ينسب محمد بن سليمان البَقُّوَي أحد العُباد الزهاد الذين ظهرت له العديد من الكرامات والمكاشفات. أنظر: الشفشاوني، دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من أهل القرن العاشر، تحقيق: محمد حجي، ط٢، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، ١٩٨٨، ص٧٢.

(١٩١) البادِسي، مصدر سابق، ص٩٢.

(١٩٢) وكان من أهم الأمثلة على ذلك قصة السيدة حفصة زوجه الشيخ يعقوب الدهماني المتوفي سنة ٦٢١هـ/١٢٢٤م، والتي قدمت لنا نحو ثلاث وعشرين شهادة أو رواية حول كرامات الشيخ. انظر:

Amri Nelly, Op. Cit., p. 167.

(١٩٣) عبد الجواد السقاط، مرجع سابق، ص٢١٦-٢١٧.

(١٩٤) هو أبو العلاء إدريس بن إدريس بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن بن على، ولد سنة ١٧٥هـ/٧٩١م بعد وفاة والده إدريس بنحو ثلاثة أشهر، وقد قام بأمره مولى والده راشد بن منصة الأوروبي، فعلمه وأدبه وجهزه لتولي السلطة محل أبيه، فأخذ له البيعة سنه ١٨٦هـ/٨٠٢م وهو ابن إحدى عشرة سنة، وقيل أُخذت له البيعة أربع مرات منذ كان حملًا إلى أن أصبح شابًا. واشتهر بألقاب عدة منها إدريس الأنور، وإدريس المثني، إدريس الفاسي، وسلطان الأولياء، وغيرها من الألقاب التي تناسب أحواله. للمزيد أنظر: ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تحقيق: خليل شحادة وسهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٠، ج٤، ص١٨-١٩؛ الكتاني، مصدر سابق، ص٦٩-٧٢؛ الحلبي، مصدر سابق، ص٩٩-١٠٦.

(١٩٥) عبد الأحد السبتي، مرجع سابق، ص١٠٨.

(196) Sebti, Abdelahad. "Au Maroc: sharifisme citadin, charisme et historiographie." *Annales. Histoire, Sciences Sociales*. Vol. 41. No. 2. Cambridge University Press, 1986. p. 435.

(١٩٧) ابن عيشون، مصدر سابق، ص٦٢-٦٣.

(١٩٨) منال عبد المنعم جاد الله، مرجع سابق، ص١٥٧.

(١٩٩) ابن عيشون، المصدر السابق، ص٢١٣-٢١٤.

(200) Zouanat, Zakia. "Maître et disciple, un modèle de transmission de la parole soufie." *Horizons Maghrébins-Le droit à la mémoire*, Vol. 41, No.1 (1999), p. 82.

قائمة المصادر والمراجع

أولًا- المخطوطات

محي الدين بن العربي(محمد بن على بن محمد الأندلسي ت٦٣٨هـ/١٢٤٠م)، سالة روح القدس في مناصحة النفس، مخطوط بالمكتبة الأزهرية تحت رقم ١٥٨٧/ تصوف.

ابن همام(أبي العباس عبد الله أبي الحارث لم نقف له على تاريخ وفاة)، رسالة في مناقب وترجمة أبي العباس السبتي، مخطوط بجامعة الملك عبد العزيز تحت رقم ١١٩٨.

ثانياً- المصادر

ابن الأحمر(أبي الوليد بن أبي الحجاج بن يوسف ت٨٠٤هـ/١٤٠٤م)، أعلام المغرب والأندلس(نثر الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان)، تحقيق: محمد رضوان الداية، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٧.

ابن الأثير، الكامل في التاريخ، راجعه وصححه محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧.

البادِسي(عبد الحق بن إسماعيل بن أحمد الغرناطي ت كان حيًا في الربع الأول من القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي)، المقصد الشريف والمنَزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف، تحقيق: سعيد اعراب، ط٢، المطبعة الملكية، الرباط، ١٩٩٣.

البكري(أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز ت٤٨٣هـ/١٠٩٠م)، المسالك والممالك، تحقيق: أدريانفان ليوفن وأندري فيري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٢.

البيذق(أبي بكر بن علي الصنهاجي ت)أخبار المهدي ابن تومرت وبداية دولة الموحدين، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧١.

التادلي(أحمد بن إبي القاسم بن محمد بن سالم الصومعي ت١٠١٣هـ/١٦٠٤)، كتاب المعزي في مناقب الشيخ أبي يعزي، حققه: على الجاوي، ط١، منشورات كلية الأداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر، أغادير، ١٩٩٦.

التميمي(أبي عبد الله محمد عبد الكريم الفاسي ت٦٠٣ أو ١٢٠٦/٦٠٤ أو ١٢٠٧)، المستفاد في مناقب العُبَّاد بمدينة فاس وما يليها من البلاد، تحقيق محمد الشريف، ط١، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تطوان، ٢٠٠٢.

التنبكتي(أبي العباس أحمد بن أحمد بن محمد أقيت ت ١٠٣٦هـ/١٦٢٦م)، نيل الانبهاج بتطريز الديباج، تحقيق: عبد الحميد عبد الله الهرامة، ط٢، منشورات دار الكاتب، طرابلس، ٢٠٠٠.

التنسي(محمد بن عبد الله بن عبد الجليل ت٨٩٩هـ/١٤٩٤م)، نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، تحقيق: محمد أغا بوعياد، وزارة الثقافة، الجزائر، ٢٠١١.

الجزنائي(أبو الحسن بن علي عاش في القرن ٨هـ/١٤م)، جنى زهرة الأس في بناء مدينة فاس، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، ط٢، المطبعة الملكية، الرباط، ١٩٩١.

الحلبي(أبو العباس أحمد بن عبد الحي ت١١٢٠هـ/١٧٠٨م)، الدر النفيس والنور الأنيس في مناقب الإمام إدريس بن إدريس، تحقيق: محمد بو خنيفي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٤.

ابن حوقل(أبو القاسم محمد البغدادي ت٣٦٧هـ/٩٧٨م)، صورة الأرض، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٩٢.

ابن خلدون(عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن الحسن ت٨٠٨هـ/١٤٠٦م) تاريخ ابن خلدون المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تحقيق: خليل شحادة وسهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٠.

ابن أبي زرع(أبي الحسن علي بن عبد الله الفاسي ت كان حيًا سنة ٧٢٦هـ/١٣٢٥م)، الذخيرة السنية في أخبار الدولة المرينية، ط١، نشره محمد بن أبي شنب، مطبعة جول كربونل، الجزائر، ١٣٣٩هـ/١٩٢٠م.

----------، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٢.

ابن الزيات(أبي يعقوب يوسف بن يحيى التادلي ٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، التشوف إلى رجال التصوف، تحقيق: أحمد التوفيق، ط٢، منشورات كلية الآداب، الرباط، ١٩٩٧.

السَّملالي(عباس بن محمد بن محمد بن إبراهيم ت١٣٧٨هـ/١٩٥٩م)، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، ط٢، المطبعة الملكية، الرباط، ١٩٩٣.

ابن سيده(أبي الحسن على بن إسماعيل الأندلسي ت٤٥٨هـ/١٠٦٥م)، المخصص، دارالكتب العلمية، بيروت، د.ت.

ابن الطواح(عبد الواحد بن محمد بن عبد العزيز من أهل القرن الثامن الهجري) سبك المقال لفك العقال، تحقيق: محمد مسعود جبران، جمعية الدعوة العالمية الإسلامية، ليبيا، ١٩٩٤.

أبن عذارى(أبي العباس أحمد بن محمد ت٧١٢هـ/١٣١٢م)، البيان المُغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، تحقيق: بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، تونس، ٢٠١٣.

العزفي(أحمد بن عبد الله محمد بن أحمد اللخمي ت٦٣٣هـ/١٢٣٥م)، دعامة اليقين في زعامة المتقين، تحقيق: أحمد التوفيق، مكتبة خدمة الكتّاب، المغرب، ١٩٨٩.

ابن عيشون(أبي عبد الله محمد الشراط ت١١٠٩هـ/١٦٩٧م)، الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس، تحقيق: زهراء النظام، منشورات كلية الأداب، الرباط، ١٩٩٧.

الفاسي(محمد المهدي بن أحمد بن علي ت١١٠٩هـ/)، ممتع الأسماع في ذكر الجزولي والتباع وما لهما من الأتباع والإلناع، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ١٩٩٤.

ابن القاضي(أحمد بن محمد بن أبي العافية المكناسي ت١٠٢٥هـ/١٦١٦م)، ذيل درة الحَجّال في أسماء الرجال، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، مكتبة دار التراث، القاهرة، ١٩٧١.

----------، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٣م.

ابن قنفذ(أبي العباس أحمد الخطيب القسنطيني ت٨١٠هـ/١٤٠٨م)، أنس الالفير وعز الحقير، تحقيق: محمد الفاسي وأدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، كلية الآداب، جامعة محمد الخامس، الرباط، ١٩٦٥.

ابن قنفذ: كتاب الوفيات، تحقيق: عادل نونهيض، ط٤، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٣.

القيرواني(أبو محمد بن عبد الله بن أبي زيد ت٣٨٦هـ/٩٩٦م)، فتاوى الإمام بن أبي زيد القيرواني، تحقيق: حميد بن محمد لحمر، دار اللطائف للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٢.

الكتاني(محمد بن جعفر بن إدريس ت١٣٤٥هـ/١٩٢٧م)، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس عمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، تحقيق: محمد حمزة بن على الكتاني، د.ن، الرباط، ٢٠٠٤.

ابن لب(أبي سعيد بن قاسم بن أحمد ت ٧٩٢هـ/١٣٨٩م)، تقريب الآمال البعيدة في نوازل الأستاذ أبي سعيد، تحقيق: حسين مختار وهشام الرامي، دار الكتب العلمية، بيروت، ص٢٠٠٤.

مجهول(عاش في القرن ٦هـ/١٢م)، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق: سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، ١٩٨٥.

مجهول(مؤلف أندلسي عاش في القرن الثامن عشر)، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ١٩٧٩.

المراكشي(محي الدين عبد الواحد بن علي ت منتصف القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي)المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: محمد سعيد العريان ومحمد العربي العليمي، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ١٩٤٩.

ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ١٨٨٢.

ابن الموقت(محمد بن محمد بن عبد الله المراكشي ت١٢٨٣هـ/١٨٦٦م)، تعطير الأنفاس في التعريف بأبي العباس، د.ن، المغرب، ٢٠٠٣.

----------، السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية، ط٣، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، ٢٠١١.

الناصري(أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد الدرعي ت١٣١٥هـ/١٨٩٧م) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصرى ومحمد الناصرى، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

الوزان(الحسن بن محمد الزياتي الفاسي ت٩٥٧هـ/١٥٥٠م)، وصف أفريقيا، ترجمة، محمد حجي ومحمد الأخضر، ط٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٣م.

الونشريسي(أبي العباس أحمد بن يحيى ت ٩١٤هـ/١٥٠٨م) المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، المغرب، ١٩٨١.

ياقوت الحموى (شهاب الدين أبو عبد الله الرومى البغدادى ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م): معجم البلدان، تحقيق فريد عبد العزيز الجندى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠م.

ثالثاً- المراجع العربية

إبراهيم القادري بوتشيش، المغرب والأندلس في عصر المرابطين(المجتمع- الذهنيات- الأولياء)، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٣.

----------، واقع الأزمة والخطاب الإصلاحي في كتب المناقب والكرامات"دراسة تطبيقية على الأزمة الموحدية أواخر القرن السادس وبداية القرن السابع"، في كتاب تاريخ الغرب الإسلامي قراءات جديدة بعض قضايا المجتمع والحضارة، دار الطليعة، بيروت، ١٩٩٤.

----------، دور المصادر الدفينة في كشف الجوانب الحضارية المنسية، في كتاب تاريخ الغرب الإسلامي قراءات جديدة بعض قضايا المجتمع والحضارة، دار الطليعة، بيروت، ١٩٩٤.

----------، الإسلام السري في المغرب العربي، سينا للنشر، القاهرة، ١٩٩٥.

حسن جلاب، الحركة الصوفية بمراكش: ظاهرة سبعة رجال، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، ١٩٩٤.

----------، مظاهر تأثير صوفية مراكش في التصوف المغربي، المطبعة الوراقة الوطنية، مراكش، ١٩٩٤.

الحسين بو لقطيف، جوائح وأوبئة مغرب عهد الموحدين، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ٢٠٠٢.

محمد المنوني، دفينة من كتابين في المناقب، في كتاب التاريخ وأدب المناقب، منشورات الجمعية المغربية للبحث التاريخي، الرباط، ١٩٨٨.

محمد السعيد الرجراجي، راجراجة وتاريخ المغرب، منشورات جمعية البحث والتوثيق والنشر، الرباط، ٢٠٠٤.

----------، رباط شاكر-سيدي شيكر-والتيار الصوفي حتى القرن السادس الهجري، وليلي للطباعة والنشر، مراكش، ٢٠٢٠.

محمود محمود الغراب، شرح رسالة روح القدس في محاسبة النفس من كلام الشيخ الأكبر محي الدين بن العربي، ط٢، دار الإيمان، دمشق، ١٩٨٥.

منال عبد المنعم جاد الله، التصوف في مصر والمغرب، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٩٧.

هلا أمون، معجم تقويم اللغة وتخليصها من الأخطاء الشائعة، دار القلم، سوريا، ٢٠١٦.

رابعاً- الدوريات العربية

إبراهيم مشراوي وفطيمة مطهري، الإسهامات الاجتماعية لرجال التصوف في العهد الزياني: دراسة تاريخية أنثروبولوجية، مجلة أنثروبولوجية الأديان، الجزائر، ٢٠٢١، ص٣٣-٤٣.

حسين سيد عبد الله مراد، كتب المناقب مصدرًا لدراسة الدور المجتمعي لمتصوفة المغرب الأقصى في عصر الموحدين ٥٤١-٦٨٨هـ/١١٥٦-١٢٦٩م، ع٧، حولية سمنار التاريخ الإسلامي والوسيط، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، القاهرة، ٢٠١٩، ص٥١-٨٦.

حليمة فرحات و حامد التريكي، كتب المناقب كمادة تاريخية، في (التاريخ وأدب المناقب، منشورات الجمعية المغربية للبحث العلمي، الرباط، ١٩٨٩)، ص٥١-٦٢.

شرويك محمد الأمين، انتقال التصوف إلى بلاد المغرب الإسلامي، مجلة أفاق فكرية، الجزائر، العدد السادس، ٢٠١٧، ص٩٢-١٠١.

عبد الأحد السبتي ، أخبار المناقب ومناقب الأخبار، في (التاريخ وأدب المناقب، منشورات الجمعية المغربية للبحث العلمي، الرباط، ١٩٨٩)، ص٩٣-١١٣.

عبد الجواد السقاط، ملامح من شعر متصوفة مراكش على عهد المرابطين والموحدين، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة القاضي عياض، المغرب، ١٩٩٣، ع١٢، ص٢٠١-٢١٧.

عبد الفتاح كيليطو، الولي والجَمَل، في (التاريخ وأدب المناقب، منشورات الجمعية المغربية للبحث العلمي، الرباط، ١٩٨٩)، ص٤٣-٤٩.

محمد القبلي، حول بعض مضمرات التشوف، في (التاريخ وأدب المناقب، منشورات الجمعية المغربية للبحث العلمي، الرباط، ١٩٨٩)، ص ٦٣-٨٠.

محمد مفتاح، الواقع والعالم الممكن في مناقب الصوفية، في (التاريخ وأدب المناقب، منشورات الجمعية المغربية للبحث العلمي، الرباط، ١٩٨٩)، ص٢٩-٤٢.

خامساً- الدوريات الأجنبية

Amri Nelly. L'hagiographie islamique : quelques remarques sur l'évolution de la littérature des manâqib au Maghreb oriental (Ve/XIe-XIe/XVIIe s.). In: Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, 159e année, N. 1, 2015. pp. 159-193.

Kansoussi, Jaafar. "L'oiseau de lumière: Ibn Arabî et la vision du Trône divin à Marrakech." *Horizons Maghrébins-Le droit à la mémoire,* Vol .23. No. 1 (1994): 42-46.

Sebti, Abdelahad. "Au Maroc: sharifisme citadin, charisme et historiographie." *Annales. Histoire, Sciences Sociales*. Vol. 41. No. 2. Cambridge University Press, 1986. pp. 433-457.

Zouanat, Zakia. "Maître et disciple, un modèle de transmission de la parole soufie." *Horizons Maghrébins-Le droit à la mémoire,* Vol 41. No .1 (1999): 73-82.

سادساً- الرسائل الجامعية

خالد محمد بريك، ابن الزيات التادلي وكتابه التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي(ت٦٢٧هـ/١٢٣٠م) دراسة حضارية، بحث مقدم لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة بنها، ٢٠١٧.